الديك الأخضر

رواية

تأليف

إبراهيم عطية

obeikan.com

طبعة ٢٠١٧

عطية، إبراهيم

الديك الأخضر= Th Green Roos Ter : رواية/ إبراهيم عطية.-
الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

١٥٦ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٠ ٥١٤ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

obeikan.com

الديك الأخضر

رواية

تأليف

إبراهيم عطية

obeikan.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضوا مجلس الإدارة

المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/٣٧٤٢١

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٥١٤-٠

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : الديك الأخضر

المؤلف : إبراهيم عطية

الغلاف : إسلام البلاط

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikan.com

إذا ذكرتك كاد الشوق يقتلني .. وغفلتي عنك أحزانٌ وأوجاع

وإن نطقتُ فكلّي فيك ألسنة .. وإن سمعتُ فكلّي فيك أسماع

الحلاج

obeikan.com

obeikan.com

لوحة خضراء

في بقعة ما على وجه البسيطة حيث كانت الشمس تهدي للفجر القبلة الأولى وهناك يُقبل طرف الجبل موج البحر ، وتتعشق الأشجار فوق الصخور ، تضحك الغيمة حين تلمس قمة الجبل ، وتشتم عبق التاريخ الممزوج بروعة الحضارة , كان وطني يجلس في ركنٍ منكفئ على الخريطة ، وشجرة خضراء تحنو بظلالها فوق طفلٍ يجلس على جسر النهر يرقب القادم من الفراغ البعيد ...

انصهر الانتظار تحت نيران الترقب ..الساعة الواقفة في ميدان الحرية تجاوزت الوقت ، والليل يهل متسربلاً الظلام ، منذ صبيحة اليوم وأنا في المكتبة، اتصفح عناوين الكتب فوق أرفف المكتبة وأمارس هواية ملء الفراغ بالقراءة والاطلاع على أفكار الآخرين ، التدقيق في الأشياء يفتح المدارك علي اتساع جديد للرؤى ..! لم أواجه قط انحسار السؤال في صدري ، إلا منذ أغلقت باب الكتابة والقراءة ، والإنشاء والتكرار القصصي عنوة ، والخروج نحو فضاء الاكتشاف في ملكوت الكون ثروة كبيرة، سواء كان الاكتشاف في لوحة بيضاء تملأ فراغاتها بملء حواسك؛ تنشغل بنقل ما في الصورة الأصلية من تفاصيل دقيقة ، أو الانتباه إلي التجاعيد والظلال الكثيفة أو الباهتة والنور الساطع أو الخافت

عليها، هذا الانشغال بالتفاصيل استهلك يومي بأكمله، ما يقرب من ثلاث ساعات تلاشت قيمتها آنذاك ، وقد فرغت يدي وأنهكت أعصابي ولا أنكر لذة ختام العمل خاصة وإن جانبه الصواب ، لكن ثروتي في لوحة صحراء جرداء خضرتها الألوان هي ثروتي في وقتي الذي يذهب بلا جدوى ، من نافذتي جسدت الوقت في رسم البورتريهات وخلط الألوان ببعضها لتكوين لوناً جديداً ، قد يمتلك الإنسان لحظات ماضية تتشكل في هيئة لوحة تشكلت واكتملت ملامحها فوق الحامل وأطل على العالم في كتابة قصيدة تعبر عن أحاسيسٍ فياضةٍ بالمشاعر المفرحة أو المحزنة ، لكن لا مفر من الاعتراف بزوال هذه اللحظات وتكرار نظرك في لوحتك أو إعادة قراءة قصيدتك علي مسامعك ... لا أبحث عن إشكالية أو مقولة أو حالة عبثية لأقوم بتفسيرها أو تحليلها تجسدها اضطرابات نفسية، ربما تكون الكتابة فضاء جديد فيه ثروة الاكتشاف في اللوحة عن ثروة اكتشاف النفس الموجوعة بآلام شكلتها مرارة الحياة .

وإذا ماتمت اللوحة كشفت عن اكتشاف في المساحة و الأشكال.. والكتابة قطعاً ستكشف عن الكثير من المعاني والدلالات الموحية أقل ما فيها من خير أنها كلام صامت دونه القلم فوق الأوراق البيضاء للتعبير عن وجعٍ ما يعترينى .. ما أروع الكتابة عندما

نتطهر بها ، تدون همومنا وأفراحنا ، نشعر بسعادة الميلاد فوق صفحات الأوراق لتشكل عملاً إبداعياً في شكل قصيدة أو خاطرة أو قصة أو رواية تتماس مع الحياة ، يشكل عالمها قدرات التخيل في اللامعقول عبر تيار الوعي الغارق في الواقعية السحرية ..!!

وحدي ممدد فوق الأرض بين الغفلة واليقظة باسترخاء تام، منهك البدن ، قيدني التعب في النعاس الذي رواد عيناي عن يقظتهما مشتت الذهن والحواس تبعثرت تحت أقدام القلق .. تُرى ماذا يخبئ لك المستقبل أيها المنذور للشقاء ..؟!

لا أقوى على الحركة .. استسلمت لراحة أبدية وغفوت منتشياً برائحة الحشيش الذي أعطاني إياه صديقي حسن سلام، شربنا ما جعلنا نقضي لياليا تسينا أوجاعنا مصحوبة بعلب بيرا " استيلا " جعلتنا نحلق في عالم آخر وانبسطنا ، صارت الطاسة منجهة فانفلتت ضحكات هيسترية لم اتمالك من نفسي، تراخت قدماي وهويت على الأرض بينما الدخان الأخضر ، يتصاعد من السيجارة مصحوبا بتهويمات تشكلت على هيئة طائر خرافي يشبه إلي حد ما الديك مؤنس وحدتي في شقتي المكركبة بفعل الاهمال المستمر ، كلما رتبتها زينات الخادمة في نهاية الأسبوع بمجرد خروجها يعود الوضع على ما هو عليه كراكيب هنا وهناك ..ولوحات متناثرة في جنبات الشقة لأشخاص ينظرون

إلي ساخرين من حياتي التي أعيشها بلا هدف .. مسلوب الإرادة للظروف التي قهرتني وسرقت مني الأحلام الوردية ، أخذت منى (فريدة الشربينى) حبيتي أيام الجامعة ، اجبرتها الظروف أن تتزوج بمن يكبرها ولا تكمل تعليمها الجامعي التي تفوقت علينا حتي الفرقة الثالثة ، وتمنت أن تصبح قاضية تحكم بين الناس بالعدل الذي تلاشي من قاموس الحياة في بلدنا ، ساد الظلم في ارجاء البلاد وورثت للسادة ، أما نحن الفقراء فلا حيلة إلا بقبول ما يفرضونه علينا عنوة أو ربما يفكرون في إعدام الفقراء كما فعل دراكولا ، وأكدتها مسرحية هزلية كتبها صديقي المسلمي تصويراً لحالة الزيف والنفاق وما آلت إليه أمورنا ..

●●●

بدأت يومي بمحاولة رسم بورتريه " وجدان " زوجتى حبيبة الروح من صورة قديمة عثرت عليها - صورتها في مرحلة إتمام الصف السادس الابتدائي - اعجبت بها كثيراً بعدما أضفت إليها رتوش أظهرت براءة طفولية وابتسامة رقيقة ، استطاع الفحم ابرازها على اللوحة البيضاء ، وما جذبني إلي رسمها لا يمكن التعبير عنه ، إنما الأمعان في المعني معني خفي لا يمكن إدراكه بالعين المجردة قد لا تدركه المشاعر والاحاسيس عيون تنظر بحدة إلي الواقع وفم مغلق لم يفتح بعد وانسكاب النور في أعالي

وسط الوجه البيضاوي ، وغطاء أبيض طاله الحياء دون أن يغطي كل الرأس انحسر عن مقدمته فبانت خصلات شعر أسود لامع أضفت عليها حسنا وجمالا أظهره طابع الحسن أسفل الذقن وأنف بندقة ...

في هذه الآونة من العام الفائت، كانت قدماي لا تهدآن عن السير والتردد ما بين المساجد وبر الوالدين والزوجة والمكتبة التي كنت أقضي فيها فترة طويلة لقراءة القرآن الكريم ،...

لم أكف عن الجولات الليلية لنصح نفسي ونصح الآخرين ، استحسنت جلسات الصحبة في الميدان ، كم كانت فرحتي عندما يلتف حولي الكثيرون مثل أبناء الحي الذي أعيش فيه، نتحدث عن نعم الله الجمة وعن إرساله للرسل لهداية البشرية ، نتذكر الموت ببضع كلمات عنه ،لا نغفل الحديث عن أمانة تبليغ هذه الدعوة إلي الآخرين وندعو مجتمعين إلي الله ، عسى أن يكون الدعاء الجماعي مقبولاً ، تتكر هذه الوقفات من حين لآخر ولا أنكر أن الهدف من إنشغالي بعض الوقت في هذا الأمر كان للحصول علي دعاء مجاب ، فإن القوة في الدعاء هو الاجتماع عليه ، والإنسان لا يفتأ أن يطلب ما يصلح دنياه وآخرته.. امتد بنا الوقت ولم ندرك إلا مع صيحات الفجر ، تراءى الديك الأخضر يستحسنا بالنهوض لاستكمال جدارية الثورة .. انتفضنا على صيحات أفراد الخدمة

علـى بوابـات الميـدان .. تعالـي صـوت المـؤذن مقترنـاً بـآذان الديـك الـذى تعجـب النـاس مـن رؤيتـه وهـو يرفـرف بجناحيـة ،، تسـاءل مـن بجـواري ..:

- من أين جاء هذا الطائر الخرافي ..؟

تعجبت مستنكراً ناظراً إلـى السـماء كأنـي لا أراه .. كيـف ظهـر للجميـع وهـو لايـراه سـواى منـذ جـاء متنكـراً علـى هيئـة كتكـوت أخضـر يحتضـر ، بـدا هزيـلاً مرميـا في الشـارع بـلا مـأوى ، أخذتـه ووالـيتـه الرعايـة ..

●●●

التيسـير ونفـى الحـرج غايـة أهـدافي ، في العـام الفائـت قمـتُ بـدور الإمـام – إمـام في الصـلاة – لعـدة أسـباب منهـا.. أن الكثيريـن مـن حولـي ، خاصـة في المسـجد المجـاور لمنزلـي ، كانـوا يشـيدون بجمـال صوتـي ، فضـلاً عـن اشـتراكي في هـذه المقـرأه بعـد صـلاة الفجـر وصـلاة العصـر يوميـاً ، منـذ ثـلاث سـنوات علـي وجـه التقريب، كنـت في هـذا المضمـار أتسـابق في الحضـور لتحصيـل الأجـر وإتقـان القـراءة بالإضافـة إلـي إن كثـرة القـراءة تعـين علـي الحفـظ فيمـا بعـد ، ولسـبب آخـر ..أن أكـون حجـر الزاويـة بـين أهـل هـذا المسـجد وأهـل التبليـغ والدعـوة ، باعتبـاره مـن مظاهـر رعايـة مصالـح

الناس في محطة المحبة والتآلف. لأن عملي في الدعوة والتبليغ كان له برنامج يومي منه ما هو فردي و ما هو جماعي ومن الأعمال الفردية قراءة جزء من القرآن الكريم يوميا ، كنت أداوم علي قراءة جزء يومي لأتم ختم قراءة القرآن كل شهر مرة واحدة على الأقل .. لكن مع هلول شهر رمضان المبارك ، كان قراءة الجزء بشكل يومي ، صعب جداً – لا أعرف لماذا يحدث ذلك ، على عكس المعتاد لدي الناس في الشهر الكريم ..؟!

يضطرب ما تعودت عليه يومياً وهو قراءة جزء من القرآن الكريم لدرجة أن هذا الأضطراب تكرر في أكثر من رمضان ، يمر علي الوقت ولا أستطيع ختم القراءة ولو لمرة واحدة في الشهر، بعد انتهاء شهر رمضان– لا أعرف السبب في ذلك ..؟! – أعاود نشاطي المعهود بالقراءة والتدبر والبحث في التفاسير عن معاني الآيات .. وكنت دائما أتمني أن أقرأ في صلاة التراويح من المصحف مباشرة كإمام لأعوض النقص الناشئ من عدم استطاعتي إتمام ختم قراءة القرآن متواصل على انفراد في رمضان ، وعادة في المساجد التي لا يكون إمامها حافظا للقرآن ،حتي المساجد التي بها إمام حافظ ... كلهم يفتحون المصحف ويقرءون منه . ولما لا يكون وقوفي كإمام في صلاة التراويح بداية لحفظي أو إتمام حفظي للقرآن الكريم ، كانت هذه الأسباب دافعا قوياً كي أسعي أن أكون إماماً لمسجد في صلاة التراويح .

تبادر إلى عقلي شرط الإمامة أن يرى المؤتم أفعال الإمام ، ولا يجوز لرجل أن يؤم قوماً وهم له كارهون .

بدأت الأيام تتسرب من شهر رمضان بسرعة ، كنت أسعي في مختلف المساجد لأقيم ولو فرضا واحدا على الأقل ، لأصلي أماماً بالمصلين ، بعد أن كان الأمل أن أكون إماماً لصلاة التراويح كاملة صار الأمل أقل ، فأصبح همي أن أصلي ولو لليلة واحدة اعتمادا علي قدر ضعيف يحتمل حصوله ، أن يتغيب إمام المسجد المعين من قبل الأوقاف لأي ظرف من الظروف وفي نفس اللحظة أكون متواجداً في الصف الأول ، إذا حدث ما اتمناه ، ويعلن عن غياب الإمام أتأهب قافزاً متخطياً كل آداب الاستئذان لاحقق حلم أن أكون إماماً ، أمنية قصوي ، تشرح صدري لو تحققت، نعم تحول الاشتياق إلي هدف صعب المنال يجب تحقيقه بأي وسيلة، لكن يمكن تحقيقه بالصبر والانتظار ، وبالانتظار تتحقق الأهداف والأمنيات ،لا أعلم ما سبب هذا الانجذاب نحو ذلك الهدف ، قد يكون هذا الهدف جزءاً من شخصيتي ، هي حب الزعامة أو التباهي بكوني إماماً واستمر في جمع الأحداث فالأحداث تتوالي والحركة والتفاعل مع الواقع أكثر ثراءً من ملاحظة اضطرابات ومشاعر النفس إذ أن النفس قد لا يكون مناسباً لها أن تظهر مضطربة في النهاية – أي بعد التحليل – كمريضة والنفس منها اللوامة والقوامة وشتان بينهما ...

كأنـي أصابنـي الجنـون ، رحـت أبحـث في أرفـف المكتبـة التـي ورثتهـا عـن أبـي مـا معنـي الجنـون في "حاشـية رد المحتـار – كتـاب الطـلاق .." الجنـون : اختـلال القـوة المميـزة بـين الأمـور الحسـنة والقبيحـة المدركـة للعواقـب، بـأن لا تظهـر آثارهـا وتتعطـل أفعالهـا، إما لنقصان جُبل عليه دماغه في أَصْل الخلقة ، وإما لخروج مزاج الدماغ عن الاعتدال بسبب خلط أو آفة ، وإما لاستيلاء الشَّيطان عليه وإلقاء الخيالات الفاسدة إليه بحيثُ يفرح ويفزع من غير ما يَصْلح سبباً ... ".

تسـاؤلات أوقعتنـي في الحيـرة .. هـل فعـلاً حـدث لـي اختـلال ولـم أعـد قـادراً علـي التمييـز بـين الحسـن والقبـح ..؟

هـل خرجـت دماغـي عـن الاعتـدال بسـبب خلـط الأفـكار أو آفـة اختـلاف المذاهـب ، أم هـو الشـيطان الرجيـم الـذي اسـتولي عليّ جعلنـي أهـزي بخيـالات فاسـدة وأمنيـات تتسـرب مـع العمـر الـذي ينفلـت سـدى مـع ضعـف تحقـق الحلـم أن يمنحنـي القـدر مـا اتمنـاه ويغيـب الإمـام عـن المسـجد لمـرض أو مصيبـة مـا ..؟!

لـم أتشـجع في اتخـاذ قـرار الاسـتئذان مـن الإمـام شـخصياً ، ولـم أكـن شـجاعاً ولـو لمـرة واحـدة في حياتـي إلا مـع انتصـاف الشـهر، ذهبـت إلـي مسـجد مجـاور للمسـجد الـذي كنـت أؤدي الصـلاة فيـه ،

كلاهما في نفس الحي الذي أسكنه واستأذنت من الإمام الشاب المعين حديثاً من الأوقاف أن يعطيني الفرصة لمدة ليلة واحدة لا أكثر فكانت إجابته مباغتة شممت فيها سخرية ..:

- حسب رغبة المصلين ، معنديش مانع .

عدت خاسئاً متحسراً ، ولم يمت الأمل في نفسي ، انتصف الشهر تماماً ، تأزمت حالتي ، وضقت ذرعاً بكل الطقوس الدينية الفردى منها والجماعى ، ورددت مقولة الحسن البصري " يا ابن آدم إنما أنت أيام إذا ذهب يومك ذهب بعضك .." ، أشعر أن بعضي يتلاشي كل يوم يمر انتظاراً لفرصة واحدة قد تتحق أو لا تتحقق ، مصيري مرهون بفرصة ، كم أنت قاسية أيتها الدنيا ، متي ترضين علي ، كفاني ما يلاحقني من خيبات وهزائم أصابتني بلوسة ، جعلت الناس ينفرون مني محدثا نفسي في الشارع وعيونهم جاحظة تتأملني ، اريد أن أصرخ فيهم .. يا ناس والله أنا أدرك كل شئ حولي ، لست بمجنون ، أرجوكم أعطوني فرصة واحدة في الحياة ، أليس من حقي أن أكون إماماً عليكم، ليس حباً في الزعامة وإنما أتيت من العلم الكثير اكتسبته عن كثرة اطلاع وتدبر ، وأنا أقرأكم ، هل تعطوني هذه الفرصة كي اثبت لكم جدارتي وكفاءتي ..؟! فرصة واحدة يا ناس .. ذات مساء كتبت في صفحة نافذة الديك الأخضر إعلان عن توفر

إمـام يصلـح للعمـل إمامـا لإحـدى المسـاجد ، فعلتهـا محـض صدفـة ربمـا تأتينـي الفرصـة بعيـدا عـن الحـى أو في محافظـة مـا ، لا يهمنـي الاغتـراب بقـدر تحقيقـى الأمنيـة المرجـوة .. تهيـات الظـروف وحانـت الفرصـة في ظهيـرة يـوم الجمعـة ، والفرصـة لا تأتـي إلا مـرة واحـدة، قـد لا تتكـرر إن لـم يسـتغلها مـن حصـل عليهـا ، مـن يسـتطيع اغتنامها فقـد فـاز ، اسـتيقظت بعـد صـلاة العصـر وقـد مـلأ صـدري الضيـق والغضـب بعـد أن فاتتنـي صـلاة الجمعـة ، غلبنـي الشـيطان واغرقنـي في بحرالنـوم ، برقـت في عقلـي فكـرة الذهـاب إلـي مسـجد آخـر واسـتئذان إمـام آخـر ، لـم اتـردد في البحـث عـن فرصـة .. نزلـت مـن البيـت وانعطفـت يسـاراً ثـم مشـيت مقـدار خمـس عشـرة دقيقـة إلي أن دلفـت داخـل أحـد المسـاجد ، كان المشـهد عجيبـاً غريبـاً.. رجـل مسـن يختـم أوراد الصـلاة ووجهـه للقـادم وظهـره إلـي القبلـة الرخاميـة .. فلنولينـك قبلـة ترضاهـا .. رجـل يشـرع في أداء نافلـة ، تعجبـت مـن نافلـة بعـد صـلاة العصـر .. فضـلا عـن الحركـة الاعتياديـة في مسـجد مـن المسـاجد مـا بـين صـلاة العصـر إلـي صـلاة المغـرب في رمضـان مـن متوضـئ ومـن جماعـة تقـام في زاويـة المسـجد .. الـخ .

واقتربت ... وحكيت حكايتي في سؤال واحد .. :

- أين الإمام ..؟

رد الرجل كأنه يتوقع سؤالي ..:

- أي خدمة ..عاوزه في اية ؟ ..

قلت بينما الرجل قد شرع في نافلته..:

- كنت عاوز استئذنه في ليلة واحدة أقومها بدلا منه .

قال آخر ..:

- " الإمام مسافر في العمرة ولمدة خمسة عشر يوما .

كان الرد مفاجئاً إذ أعقب هذا التصريح بـ..:

-والله أنا كنت باستخير ربنا إني أروح أجيب إمام والحمد لله أنت جيت .

لم اهتز كثيراً لهذا التصريح وإن كان يعني أني ... أني الإمام المنتظر ..؟

فقد أرهقني الفكر في هذا الأمر إلي أن وصل بي الحال إلي الاتزان السلبي سواء أحدث هذا الأمر أم لم يحدث ، استسلمت للقدر ، ولكن يجب مواصلة البحث وعدم التوقف .

صار الاتفاق أن أكون جاهزاً بعد صلاة المغرب مباشرة . وقد شعرت بارتجاف القلب وهمة مبعثرة ولباس رثٍ إلا من

عمامة بيضاء كانت تزين ملمحي وتفصلني عن المصلين ، ارتفع آذان صلاة العشاء في المسجد الكبير ، وطفقت في الدعاء ربما يكون وسيلة إلي التماسك ، قمت إلي سنة العشاء وانتظرت .. لم يقدمني سوي الذي قطع استخارته من قبل ولكن جاء عن كتفي الشمال وهمس بأن هنا لك أخا قد آتي به ويريد أن يناصفني الليلة يقوم بأربع ركعات ثم أتلوه بالباقي والدعاء ..؟! .

وهنا صاح الأمل الثائر ، والهمة المبعثرة بداخلي ، لم أزد أن قلت له كل شئ ولكن أتركوني لأصلي العشاء وأمضي ، أخذت مكان الإمام عن يميني مكبر الصوت بذراعه الفضية اللامعة الطويلة وعن يساري المصحف المفتوح عن آخره علي بداية سورة يوسف وبين يدي القبلة الرخامية المزادنة بالأضواء ومن ورائي جمعٌ غفير من الناس ، لم أتردد .. وارتفع صوتي في جنبات الحي بأكمله .

انتهت الصلاة وارتفعت الصيحات من المؤيدين للاستمرار وللمعارضين لبعض الأمور الفنية في إقامة الصلاة مثل : المسافة الساكنة بين قراءة الفاتحة والسورة القصيرة .. فكانوا يريدونها أطول من ذلك ، لم تكن هي المشكلة ، لكن فوجئت بالرجل الذي قطع صلاته و آخر يعمل رئيساً لجمعية رعاية الأيتام وبعض الأعمال الخيرية الأخري يدخلان إلى موقعي الفاصل بين الإمام

والمأموم ويؤيدون رغبتهم في إكمال الأخ الآخر لليلة بدلاً مني ... لم أملك في هذا الموقف سوي الخروج مسرعاً من المسجد ليفعلوا ما يحلو لهم .. قطعا لم يكن أي مأموم علي علم بهذا الخلاف .. وحرصاً علي عدم إثارة نفسي واختلاف مزاجي هربت تاركاً كل شئ خلف ظهري لا عتبار وحيد ألا يتغير مزاجي الذي اعتز به جيداً .. وإن جرحاً واحداً في هذا المزاج كفيلا بأن اترك المسجد فحسب ولكن اترك الدين برمته.. لمت نفسي كثيراً وشعرت بم ألم بي من لَّمَمُ وضيق صدر ، مس حواسى بما قيل فى غريب الحديث والأثر عن اللَّمَمُ: الجُنُونُ ، وصِغارُ الذنُوب. والمَلَمومُ: المَجْنُونُ، وأصابَتْه من الجِنِّ لَمَّةٌ، أي: مَسٌّ ؛ والعينُ اللاَّمَّةُ: المُصِيبةُ بسوءٍ.. وصاح ديك الجن مَسَّ الإنسان الضُّر : مَسِسْتُ الشيء أمَسّه مَسّاً ، إذا لَمسْتَه بيدك ، ثم استُعير للأخْذِ والضرب لأنهما باليد ، واستعير للجماع لأنه لَمْسٌ ، للجنون كأنّ الجِنّ مَسّتْه. وأصابهُ مَسٌّ من جُنونٍ .. ! لابد من التفكير في الفكرة التي طرأت ، وسيطرت علي بعد خيبات متلاحقة ، اعقبتها انتكاسات قتلت بصيص الأمل في الأحلام التي هجرتني ، وطاردتني كوابيس في صحوى ، كلما انبلج نور الفجر ، وطلعت شمس النهار ، لكن حالة اليأس التي انتابتني جعلتني أعاني خيبة الأمل ولوعة الفقد دفعتني نحو الهاوية السحيقة ، قد يكون الانتحار راحة لمن حولي ونهاية للعذاب

والمطاردة الأمنية التي تلاحقني بلا ذنب أو جريمة ارتكبتها – لعنة الله علي اللحية وأصحابها وكل من فكر في تربيتها ، لقد اضاعت مستقبلي وافقدتني كل شئ ، مجرد نسوه نسيتها دفعتني إلي مصير مجهول ومضايقات واهانات لن تنتهى من ضباط الشرطة وتابعيهم .. زعقت في الفضاء ناظراً إلي السماء ..

خلصنا يا الله مما نحن فيه من ابتلاء ، يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف ..! دلني على من يدلني عليك ،وصلني بمن يصلني بك فأنت تملك قلبي وأنت أعلم به مني ..

يؤرقني حنين الأشواق لعينيها ..

يفترس الشمس ..

من رَحمِ العتمةِ يولد نبضَ العشاق المنتفض [1]

تستفزني عقارب ساعة الحائط في كُوّة الظلمة

يتطاير عطرك الآخاذ ، شهقات من نبض الروح

تؤرقني سياط حواسي الموجوعة

تجلد الآهات في بحر الاغماء ..،

يوقظها وجد القلب فوق رصيفٍ تقاطر الحزن من رضاب

الوجـع علـى رصيـف العواصـفَ ، وتبعثـر الغيـرةِ في أركان الحجـرة الرطبـة ..!

اعتليت السطوح وصحت في الكون الواسع .. كوكوكوووووووووو

●●●

obeikan.com

نشيد الظلام

خرجت عدوا من المسجد لأصل إلي البيت، الكهرباء مقطوعة عن الحي بأكلمه ، السواد ابتلع البيوت وملامح الشارع ، تحسست الطريق خشية الوقوع في بالوعة مجاري مكشوفة بعدما سرق غطاءها الأولاد الذين ينادون علي شراء الأشياء القديمة من البيوت، تخبطت في مدخل العمارة صاعدا درجات السلم خمساً وأربعين سلمة وبسطتين بالتمام والكمال حتي وصلت إلي باب شقتي ، بصعوبة وضعت المفتاح في فتحة الكالون ، دلفت إلي الشقة، اعتادت عيناي الظلام ، فبدت الأشياء تتجسد كتلاً من الظلام بملامحها المغبشة ، والنيش على يسار الباب ، تحسست يدي بحثا عن بقايا شمعة من دستة الشمع التي التهمها الظلام، تسرب الوقت من ساعة الحائط العتيقة ، التقط ما تبقي من ضيق النفس، ازدادت دقات قلبي ، تفوقت على عقارب الساعة بإيقاعها الرتيب ،اعتادت عيوننا السواد مع كثرة انقطاع الكهرباء، استنشقت جرعات من الهواء ،لاستعادة أنفاسي المضطربة ..انقبض قلبي من وحشة الوحدة ، والتهمني الوسواس بخيالات كابوسيه أفرعتني ، ارتعدت فرائصي وخرج ديك الجن من شق بطول الحائط .. تفلت مستعيذا بالله من الشيطان الرجيم ،

لكنه لم يحرك ساكنا ، تطاوس وهز جناحية وطقت عيناه بشررٍ سخطني طفلا يواري سوأته من البلل الذي أغرق البنطلون .. اقترب مني واحتواني بين جناحيه ، وقعت في اغماءة تجرعت الوقت ، ومات الزمن من هول الخضة ، التقطت أذناي صوتا مجسما ..:

- ماذا يخيفك يا بن آدم وأنت الذي نخشاك من عهد سليمان الحكيم ..؟!

أمتدت لحظات غيبتي عن العالم ، وأخذني بعيداً إلي بلاد الواق واق ، تلك البلاد التي أسكنها ، دونت أنا الديك ما يجول بخاطري .....

قررت إكمال الليلة في المسجد المجاور ، أكملت الصلاة تحت ضوء المولد الكهربائي .. مات الأمل في أن يحيا الحلم الذي أحلم به طيلة المدة الفائتة في أن أكون إماماً ، اختارت زوجتي مسجداً يبعد عن البيت بمسافة تستغرق عشر دقائق ، كنت أذهب وزوجتي وابنة أختي لتأدية صلاة التراويح يومياً فيما تبقي من رمضان ، كانت العشر الأخيرة قد أهلت ، تبدد نشيد الظلام وزادت المساجد في القيام حتي أنهم يقومون الليل مرتين الأولي بعد صلاة العشاء والثانية قبل صلاة الفجر ، ليزدادوا من رحمات الشهر الفضيل ،

ذات ليلة شجعتني " وجدان " زوجتي علي الذهاب إلي المسجد ، ربما يكون في الأمر خير وتتحق الأمنية في الأيام المباركة، بعد أن هدأت نفسي قررتُ إقامة الصلاة في المسجد المجاور والتراويح في السجد البعيد ، هاجت نفسي مرة أخري للإمامة وبريق الزعامة الذي لاح هذه المرة من داخل المسجد ، أشعل أضواء المصابيح التي أغرقتني في بركة من الضوء ، ورائحة المسك أخلطت بالبخور ، انشرح صدري في كل ليلة يقرءون ثلاثة أجزاء كاملة قبل الفجر، ولابد أن يتغير الإمام لطول المدة التي يستغرقها هذا الكم من القراءة ، اختارني شيخ ممن لهم أسهم مالية عالية ليس في بناء المسجد ولكن في توفير خدماته من متاع وأدوات تموينية .. (صابون ، سكر ، شاي ، قرنفل وحبة بركة ، وقرفة بالزنجبيل .. الخ).

تقدمت وقرأت نصف جزءٍ كاملٍ بمفردي ، لكنني أدركت الفخ الذي وقعت فيه ، واورد هنا مثالا لتوضيح هذا الأمر ، " الروليت الروسي " عبارة عن رصاصة تكون في ساقية المسدس ثم يدور منفذ الحكم فوق رؤوس المحكوم عليهم بالإعدام ، يختار رأساً يصوب عليها سلاحة ، يدوس على الزناد إما أن تنطلق تكة فراغ الساقية أو تنطلق الرصاصة الوحيدة ، وهكذا كنا نقف دون مشاورة مسبقة ينفذ الحكم فوراً من قبل الشيخ فيقول ..:

- الشيخ وائل ، يتقدم للقراءة وإمامة المصلين ...

ولما كان هذا الفعل وجدتني بين مجموعة من الناس سوف اختار الآن أو بعد قليل أو لن أُختار من الأساس ، أدركت كم أوقعت نفسي في فخ دون أن أدري فايما كان المقابل وقوفي إماماً لا يكون بين اختيار إما أن ينادي علي اسمي أو لا ينادي مرت الليلة، لكنني لم أكررها ..

شارف رمضان علي الانتهاء .. نامت فتنتي ..سلمت بالأمر وعدم وجود فرصة لهذا العمل كفيلان بالاستكانه ، فتركت المسجد المجاور ذاهباً إلي مسجد أخر في نفس الحي ، كل ما أعرفة عن هذا المسجد أن أصحابه ليس لهم أي نشاط سوى الصلاة ، والمسجد الكائن الجديد و المجاور للبيت يقام فيه إصلاحات من تركيب رخام وإصلاح دورات المياة ... ..

●●●

نفحة من التفكير

في مغرب اليوم الأول من عيد الفطر المبارك كان القرار الحازم ألا أعود إلي مسجد الصحابة المجاور للمنزل مباشرة ، و يكون استقراري في مسجد الرؤى الذي يبعد عن الصحابة ثلاث دقائق علي الأكثر سيرا على الأقدام ، و أداء كل الفروض فيه وهو ذو ميزات كثيرة أولها أن أهله قليلون ، مما يقلل من أي نوع من أنواع الاستفزاز وثانيها أن أهله لا يلبثون سوي دقائق معدودات بعد الصلاة لختمها وأيضا ليس في مسجدهم مقرأة يلتف حولها الجميع والمريح في هذا كله بالنسبة لي ألا اشعر بمسئولية تجاه ما يحدث في المسجد سوي أن أقيم الفرض واعود إلي منزلي ، كل أفكاري آنذاك الابتعاد عن عمل الدعوة ، وتقليص مساحة وجودي في جماعة التبليغ والدعوة ..؟ ليس لهذا أسباب إلا تخاذلهم معي في موقف الزواج وعدم مساعدتهم لي على اتقاء المعاصى . ووجاء من فتنة الشهوة ..!

كانت المفاجأة في انتظاري إذ عرض علي صاحب المسجد وهو شيخ يحيط بوجهه البشر ، ذو لحية بيضاء ليست كهذي اللحي المنفوشة ،إنما هذبت تهذيباً توحي إلي الناظرين بإن صاحبها يقصد هذا ..أشار بالبشر ..:

- اتفضل يا شيخ ..

كانت كلمة الشيخ لي بشرى لأكون إماماً لمدة هذه الصلاة فقلت في نفسي ..:

- أهي مرة من نفسي ..!

انتهت الصلاة ولم يتركني الشيخ ، لم تكن هنالك فرصة ، مباشرة أُمسكها بيدي مثل هذه الفرصة بعدما عرض علي العمل إماماً في المسجد لجميع الصلوات بأجر مائة جنية شهرياً ، كانت مفاجأة من ناحية أن يجمع لي الأمر كله برمته مرة واحدة ، وليس الأمر وقفاً علي شهرٍ واحدٍ بل شهرياً .

لم يكن مفاجأة من ناحية أخري إذ أن الرغبة الكامنة في صدري تتحدد في السؤال الآتي ، إذا كنت يا أهل المسجد المجاور أُجيد القراءة والتلاوة وأجيد أحكام الصلاة ، فلماذا تدفعون لغريب عن الحي ثلاثمائة جنية لمدة شهر واحد لإقامة صلاة واحدة وهي التراويح وتتركون من هو من أهل الحي ومن هو أعرف بالمسجد من غيره ومن هو في حاجة لهذا المبلغ لزواجه الجديد وكثير من الاعتبارات ، الآن مزاجكم يأبي عليكم إلا ما تحدد أموالكم ، أم تستعيبون إمامة أصغركم ، أم أن وجودي من عدمه ليس له أي اعتبار لديكم ، الأسئلة كثيرة أما الإجابة فكانت

واحدة وهو ارتفاع صوتي الجميل " الرخيم " ، بشهادة غيري لي بذلك ، كل يوم أرفعه خمس مرات في الآذان ، وارتفاع صوتي اثنتي عشرة مرة إما مؤذناً ثم مقيماً للصلاة أو قارئاً في صلاتي المغرب والعشاء يومياً .. يا زامر الحي أنت لا تطرب ، ولا كرامة لك بين جيرانك وأهلك .. وتسربل صمت ذاتك فالصمت مفتاح الفرج ..!

أشار مقترحاً صُحبتهم ..:

- " إن شاء الله يا شيخ وائل تحب تيجي معنا الزيارة دي ، زيارة مريض في مستشفي بجوار البيت عندك .."

انطلقت الكلمات من فم الشيخ إبراهيم عبد العزيز في فضاء مسجد الرؤى ، كانت الشمس ما تزال في استهلال سنوات مضت ربما تكون أربعة أو خمسة ، لم تكن هناك فرصة لإتمام الزيارة، لأن الزيارة في مستشفي خاص لها ميعاد ليس في أي وقت شاء المعيد أن يزور مريضة ، كانت الزيارة كما يقولون : مسافة السكة " فما أن ذهبنا حتي عُدنا إلي المسجد مرة أخري ، كنت آنذاك متوقفاً عن التفكير منذ اللحظة التي اومأت برأسي علامة على الاستعداد لهذه الزيارة ، مضيت مع كل حركة ، كل سكتة ألمحها، أتملي فيها ثلاثة أشخاص منهم اثنان بلحي طويلة غير مهذبة ولباس أبيض واغطية للرأس وسروال والثالث كان يرتدي بنطلون

وقميص " زى خلق الله " وأنا مندس في السيارة الفخمة المكيفة أراقب هذه الأحداث الجسام ، كيف حدث هذا ..؟ من هولاء الملتحون وإلي أين تقودنا أقدرنا في هذه السيارة ..؟! .

لماذا اتفرج على الشوارع التي أمشيها دوماً كالمذهول ،كأني أراها بعين أخري ونفس أخري ..؟ . بل ومع أشخاصٍ أخالهم غرباء ليس عني فقط ، بل عن هذا العمار ، بل عن الوجود ذاته بما أن نفسي هي الوجود ككل نزولاً علي نظرية الإنسان الكبير لفيلسوف من فلاسفة العرب ربما يكون الفارابي أو ابن طفيل، أو ابن سينا ليس الإشكال في الاسم بل في الفكرة التي ما زالت بداخلي ، لا أنكر أن لساني آنذاك كان رطبا بالذكر خاصة الأذكار الصباحية ، لم أنتبه والاستفاقة من هذا الدوار إلا والشيخ مصطفي غريب يدعو بصوت مرتفع في السيارة رافعاً يده مستغيثاً ومستعيناً بالله أن يشفي الأخ المعقود علي زيارته ورددنا جميعاً.. آمين ، آمين إلي أن هبطت قدماي محط الإقلاع في مسجد الرؤى مرة أخري .. وصياح الديك طنينٌ في أُذني ..فوق المئذنة العالية ..

تنفست رائحة الربيع والمطر متجاهلاً دخان الطرقات وضجيج الزحام في الشوارع ..أدعو الأصدقاء إلى زيارة ذويهم ، نسيت أنهم تغربوا عنهم في مختلف بقاع الأرض للحصول على « لقمة العيش

.. أغني لحن عبد الوهاب» أنا من ضيع في الأوهام عمره « ، وأمر بين حقول الليل المتعب و «العبوة الناسفة» التي قد تسرق حياتي في منتصف الطريق ، تقودني «الملائكة» وصورة «الانتحاري» الذي يأتي نحوي راكضاً من بعيد و ضحكات الأطفال المتصاعدة تطل من عيونهم براءة مشرقة بالمستقبل .

نظرة البؤس في عيون الأيتام والمعاقين والفقراء في خيام الملاجئ .. أزور "مكتبات بغداد" المزدحمة بالقراء ، لن أجد لي مقعداً للإطلاع على مؤلفات كبار المفكرين .

ولن أجد فيها سوى موظف عجوز نائم على كرسيه منذ الصباح الكئيب . سكناها الوحشة والفقد ..

اتناول مع طفلي فلذة كبدي وجبة (الهمبرجر) على الغداء .

مستمتعاً برشفة من كوب القهوة من " البن اليمني"

وأن الناس في بلادي يشربون السجائر بعد الغداء.

تراءت أمامي المنازل ركامٌ من بقايا القذائف والقنابل أجساد الضحايا في شوارع حمص ..وبكاء أشجار المشمش والتفاح في حدائق الدمار ..! يا وجعي على تلك البلاد الحزينة ..

تلـك الصـور التـي علقـت بمخيلتـي مـذ رأيتهـا علـى شاشـة التلفـاز.

وأذهـب للتنـزه علـى البحـر عصراً يحتويـني اللـون الأزرق وهـدوء الحيـاة محلقـاً مـع أسـراب النـوارس وأولئـك الشـباب بسـروايلهم وقصـات شـعرهم الغريبـة كجنـاح ديـك يعاكسـون الفتيـات بمضايقـات التحـرش تـاركاً الكورنيـش ، عائـداً إلـى ظلمـة البيت الموحشـة لأن "الكهربـاء " مازالـت مقطوعـة منـذ الصبـاح، تغلبت علـى أوجاعـي منتشياً بحمـامٍ دافـئ مـا قبـل الغفـوة والنـوم ..صَحـوتُ لأجدنـي في حلـم الهواجـس ، أدركـت أن كل مـا رأيـت أمانـي تبـددت في ظلمـة الوحدة ...

●●●

من ذاكرة الصمت

- " يلا يا شيخ وائل بسرعة فك البسكويت وحطه في العلبة تاني وورق السلوفان ارميه في الشارع " .

رحت أنفذ العملية بمهارة لأني لم أعِ ما أنا فيه ، لم يشدني من ذهولي إلا كلمات الشيخ رياض عبد العزيز " أخو الشيخ إبراهيم عبد العزيز " ، كنت جالساً في المسجد بعد صلاة العشاء اتسمع لكلمات إيمانية إلي أن جاء أخ من خلفي هامساً بأن الحق به خارج المسجد .

كانت سيارة الشيخ (حسان) بيجو السبعة راكب تنتظر ، هرولت إلي أن صعدت إليها ، انطلقت تحملني والشيخ والهامس ورياض خادم مسجد الرؤي والسائق ، وتساؤلات الحيرة ..أين أنا الآن ..؟

إلي أين أنا ذاهب ..؟! .. ما دوري إلي أن انتهيت من فك البسكويت ورصه في العلبة لتقديمه كإكرام للأحباب ..!! .

كانت بلدة (شيبة) قريبة تبعد عن الزقازيق ما يقرب من ثلاثة كيلو مترات لا أكثر ، دخلت المسجد وقعت عيناي علي الجالسين مجموعات إما خمسة مجتمعين علي واحد أو اثنين

وجهاً لوجه وبينهما المشهيات من أطباق البلح الرطب أو فاكهة الموسم أنذاك وتبادل الجميع السلام وكان نصيبي أن اجلس بجوار رجل من أهل القرية والثاني معتكف في المسجد لمدة لا تزيد عن ثلاثة أيام والحديث ليس له في كل هذه المقامات إلا صيغة واحدة تتغير تبعا لثقافة المتحدث سواء أكان يعرف القراءة و الكتابة أو يجهلها وانصرف الذي هو من أهل القرية وبدأ الحديث معي المعتكف بإعطائي تمرة كانت مستقرة في وعاء من الصاج النظيف مع أخوتها .... تنبهت فإذا بيدي بلا وعي تسحب من الطبق تمرات ، و أذناي أرهفتا السمع اتلقى نصائح المتحدث ويداي وفمي قد شغلا بالأكل فأبيت إلي أن بدأ الحديث ، بدافع الملل والتكرار إلي أن تحورت أشكال الألفاظ بمضمون ثابت قد لا يتغير تقريباً ، بدأت التقاط حبات تمر الرجل اللذيذ ، نجلس على أرضٍ من السجاد المفروش في كل بيوت الله وتدفع لنا المراوح الكهربائية مزيداً من النعومة والطراوة ، يدور بين الحين والآخر من يقدم سقاءً إما ماءً أو مشروباً ساخناً ....:

- يلا يا أحباب ..!

انطلقت الكلمات معلنة عن بدأ الانتهاء من تجهيز العشاء أخذت مكاني مواجهاً مسئول الجماعة الحالية المرتحلة دون قصد أو تدبير مني ، أكلت وكلي حذر ، كنت عندما أجلس هذه الجلسة

سـواء في الإفطـار أو الغـذاء أو العشـاء أجلـس حـذراً ، خوفـاً لأنـي لـم أتعـود علـي الطعـام الجماعـي بـل في المنـزل كنـت أفضـل دائمـاً أن أتنـاول الطعـام وحـدى ، وحـذري أن نظـرة أو كلمـة قـد تخـرج منـي دون أن أعيهـا لهـا معنـى لـدي المجمـوع ، وهـذا مـا قـد يعكـر صفـو مزاجـي ، عـدت إلـي البيـت بعـد توصيلـي إلـي أقـرب نقطـة مـن بيتـي، لـم تكـن هـذه الرحلـة الأولـي أو الأخيـرة .. عبـر شاشـة تليفزيونيـة تتلاقـي توأمـة الـرواح ، تنفطـر أخـري مـن وجـع البعـاد ، تكبـر وتصغـر زاويـة الرؤيـة وعالـم افتراضـي يجذبـك نحـو الفـراغ السـحيق ...

●●●

obeikan.com

obeikan.com

فيض من نور

ومضة النور في رحم المشارق

تولد من بين جفون الليل الحالك

العمرُ دروبٌ من أحزان عبرت ،

تخضب حمرته الشمس ..

لم تبرحني لوعات خريف يتمدد من ظلٍ بارد

أشتاق لدفء مودته ، وسياط القسوة توجعني في غفلة وعي تبدد

وتهاوي في جُب محتل غاصب ،كابده لعنات الثوار

متي تروي أشواقي وطني المحتل ..؟

تلاحقه وطأة فتوي أفتاها شيخ جاهل في سجن ضمير غائب

اخلع عنك عمامة الطهر وجبتك والقفطان المدنس بنفاق باهت

اغمض عينيك عن حقد الزيف وتطهر من دنس هواجس شيطانك

وفتوي الخوارج ومذبحة مماليك القلعة تنذر بالظلمة

وخصوما شقوا عصا الطاعة لسلطان جائر

اغتصب السلطة من رحم الخوف

إظلام الزنزانة ضيق عنق المجهول

بمخاوف وظنون ،

يغشاني الأفق في ساحة سجن الأحزان ،

تظهر صورة شنق زهران بفتوى الشيخ المأفون ،

يحترق الحقد في نار الغل الساكن في احقاد القهر،

والدهشة تسري في جوف فراغ شوارع ،

قيدها شلل الفزع من حالة قانون الطوارئ ، والنهار الجالس فوق رصيف الخوف يتجرع كل مرارات الوحشة والقهر،

هيأت القلب المغتصب لضوء الشفق في مرح لسلوان لا يخلو من شجنٍ يغني نشوان ..

" أحنا شبابك يا بلادي عاشقين ترابك يا بلادي "

ترنمت بوجعي في سفر العمر الأخضر و شجون الليل المحترق برصاص الغدر وفاح الدم بأسرار الثور ة ..

ألتمس ضياءً يهديني ، ويجود بعطر الحرية فيضاً من نور الرؤيا ..

وطأت قدماي مركز الدعوة في القاهرة عدة مرات ربما تعد علي أصابع اليد الواحدة ولكن في كل مرة كان الأختلاف واضحا، ففي المرة الأولي كنت قد جهزت نفسي لرحلة قد تتجاوز العشرة أيام وكان الرفض و عدم القبول ليس من جهة أمي أو من جهة أبي بل أن مسئول المسجد ، الذي أصبحت قائما فيه بالأعمال الإيمانية كان متردداً لأني لم اتجاوز بعد مرحلة القيام بهذه الرحلة ، لكنني أخذت موافقة منه بعد فجر يوم من الأيام وهو في بيته ، أرسلني له لأخذ موافقته الشفهية ، أخذت موافقته وأيقظت الشيخ مصطفي غريب من نومة ليصف لي مكان مركز الدعوة في القاهرة ، " تنزل محطة مصر ، تركب أتوبيس رقم (٥٠٣) اللي رايح " طموة " وتسأل علي مركز الدعوة " .

ظلت كلمات الشيخ مصطفي غريب محفورة في ذاكرتي ، حاملاً حقيبتي المصنوعة من القماش الثقيل وعدت إلي أن وجدت الموقف ولم اجعل الخواطر تجول في ذاكرتي وكعادتها معي بل أخرجت مصحفي الصغير الحجم وشرعت في التلاوة ، ولم احول نظري إلا عندما طلب الكمساري تذكرة السفر .

لـم يـدر بخلـدي أن محطـة مصـر للسـكة الحديـد ، تسـتقبلني بهـذه الهيئـة ، أقسـم إذ أقـول انتابتنـي نوبـة نفسـية يصعـب وصفهـا، دقائـق وقدمـاي تتخطـى الحقائـب والوجـوه والأقـدام والروائـح .. أمشـي بـين النـاس وأشـعر بسـعادة أننـي أعـرف حقيقـة نفسـي لأول مـرة ، واقـول لهـا أنـا الـذي لا يعرفـة أحـد مـن كل هـؤلاء وهـو يعـرف كل هـولاء لأنـه هـم ، ربمـا جـال بخاطـري أن يسـألني أحدهـم عـن البطاقـة الشـخصية أو اتعطـل لأي أمـر مـا ، لـم يحـدث لـي أن جلسـت في الأتوبيـس المتجـه إلـي "طمـوه " قريـة مـن قـرى محافظـة الجيـزة .

ورائـي شـريط السـكك الحديديـة ومـزارع علـي مـد البصـر والهـواء يشـتد علـي لباسـي الطويـل والطريـق العرضـي ذهابـاً وإيابـاً يزخـر بالسـيارات المسـرعة ، وقفـت هنيهـة أتحسـس وجـودي ، كنـت اطمئـن عندمـا أصـل بينـي وبـين نفسـي إلـي نقطـة الاقتنـاع بإنـي متفـرد بمـا أحملـه في قلبـي ونفسـي مـن ذكريـات منهـا الحـار ومنهـا البـارد ، متفـرد بجهلـي عـن حقيقـة مـا حولـي سـواء الـذي أراه أو الـذي لا أراه ، انتقلـت إلـي الجانـب الآخـر مهـرولاً ، ثـم أخذنـي طريـق ترابـي طويـل ، إلـي أن اقتربـت مـن مركـز الدعـوة عبـارة عـن مبنـي مـن أربعـة طوابـق بـين بيـوت قرويـة كثيـرة .. قبـل أن أدخـل مـن البـاب وجـدت في المواجهـة محـلات لبيـع لـوازم السـنة ، مسـابح ، مصاحـف،

مسك ، وبخور ، وحبة البركة السوداء ، وكتب الأذكار، وقبل أن أدخل المبني لم أنس الساجد في الأتوبيس إذ يقرأ في المصحف ، فجأة قام ونزل ساجداً مما أعطاني إشارة بأنه يقرأ آية من آيات السجدة في القرآن الكريم وهن ست عشرة موزعة في عدة سور ، فإذا قرأها القارئ أو سمعها ينبغي عليه السجود فوراً وقد أتتني بعض هذه الآيات عند مروري في سوق من أسواق مدينتي ذات مرة وقد علمت عنها ما ذكرت آنفاً ولم أجد حلاً إلا الإسراع بالخروج من السوق قبل أن تدركني هذه الآية حتي لا يقع إثم عليّ ، بعد مدة كان محلٌ من المحلات يفتح بابه ، بدأ يرفع صوت القرآن بالسماعات الكبيرة في الشارع ،كان لابد أن تدركني آية السجدة لا محالة ، نفذت فوراً بعد أن انتخبت موضعاً نظيفاً في شارع قرية من قري مدينة الفيوم نفذت عليه من جهة فقهية، وورد في سيرة ابن هشام موضعٌ منها يُحكي عن قراءة الفاروق عمر بن الخطاب لإحدي آيات السجدة لم يسجد وأكمل القراءة، ثم لم يسجد وهو معتلي المنبر في خطبة الجمعة وأردف أنها سنة من تركها فلا يأثم – هذا معني كلامه ، والأفضل الرجوع لأحكام السنة كي لا نظلم أنفسنا دون أن ندري للتيسير على ذوى الحاجات، لم تكن نظرتي لهذه السجدة داخلة ضمن الأحكام الفقهية أو هذه القصة آنفة الذكر كنت أدرسها وأفهمها فهماً آخر في اللحظة التي أسمع

فيها آية السجدة أو أقرأها لحظة أختبار فالله يراني والله يقدر أن اسمع أو أقرأ هذه الآية والسؤال .. هل تتواضع إلي ربك كي يرفعك – كما في الحديث – أم أن الله لا يراك وأنت لا تسمع ..؟

قبل أن تتفرع الخواطر في قلبي أقطع شكاً باليقين وأنفذ فوراً.

وخايلني الطيف : يقال قد أصَابَ هذا الغلامَ لَمَمٌ أو طَيْفٌ من الجن ، أي عَرَض له عارِضٌ منهم. وأصْلُ الطيْف: الجُنُونُ. ثم استُعْمِل في الغَضب، ومَسّ الشيطان ووَسْوَسَته. ويقال له طائف، وقد قُرِىء بهما قوله تعالى: {إنّ الّذين اتّقَوْا إذا مسّهُمْ طيْفٌ مِنَ الشّيطانِ} يقال طاف يَطِيف ويَطُوف طيْفاً وطوْفاً، فهو طائِف، ثم سُمّي بالمَصْدر. ومنه طيْفُ الخيَال الذي يَرَاه النائمُ.

●●●

لحظات مسروقة

خرج من مرآته للمرة الأولي يلقي نظراته بطرف عينيه وفي نهاية اليوم رجع لمرآته وأغلق عينيه ، في اليوم التالي خرج حذراً من أخطائه السابقة مما كلفه الكثير من الابتسامات التي وزعها على الآخرين بالمجان ، هرب مرة أخري إلي مرآته التي تنتظره في الجانب الغربي من الغرفة ، ثم أتت عليه ليالٍ كثيرةٌ تساقطت بجوار مرآته المزينة بفصوص كرستال علي الحدود تماماً- عاشق ومعشوق- يلاحق بنظراته الحزينة أوراق عمره التي سقطت بجوار المرآة تاركاً ألمه ليخرج منه ليُكسر كل القوانين حتي حواف المرآة بدت سوداء من الحزن المطل من قلبه الموجوع ..

كيف لي أن أظهر النمش في وجه « حبيبي « الأبيض البيضاوي..؟! ، هو ليس بالطويل ولا بالقصير بجلبابه البني الطويل إلي ما فوق الكعبين – والكعب هو ما نطلق عليه بز الرجل وليس العقب الذي هو مؤخرة القدم ، الكلمات التي أسمعها موجهة إلي شخصياً ،كأني كنت في انتظار لقائه وهو كذلك .. بشوش الوجه ، متبسم الثغر وعيناه مكحلتان ، مخضبة لحيته الطويلة المهذبة بالحناء وعمامة بدت قمراً ليلة اكتماله ، ونجمة الثريا زينتها بزرٍ أحمر ، خطفت بصري .. ارتبكت ولم أضيع فرصة الترحاب ، عانقته وأدليت له ببياناتي كاملة ..!

جمع من متلقي العلم يلتفون أرضاً ما بين الجالس القرفصاء والمتكئ علي عمود .. ورجل علي وجهه مسحة المهابة تلتف حول رأسه عمامة بيضاء ربما تكون أكبر من الحجم المعتاد فالعمامة تكورت يميناً لمرة ويساراً لمرة ، ربما تكورت ثلاث مرات لكل جانب...

كان المشهد عن يميني والنوافذ الطولية عن يساري ، رمقته من بعيد وما زالت الشمس تتكاسل عن بلوغ الظهر ، عبرت باباً ، وصعدت السلم إلي اليسار مباشرة ، لم تكن ثمة مشكلة في ذلك الأمر ، ماذا أفعل الآن ..؟!

من طبيعة المركز إقامة الأعمال الإيمانية بصفة متواصلة ،كان التوقيت قبل الظهر – قبل آذان الظهر – ساعتئذ يلتف الجميع كل المسافرين من بلادهم الأصلية ، الذين أتوا لكي يقضوا مدة طويلة بعيداً عن بيوتهم حول شيخ اختير بنظام الشورى ليقوم بهذا العمل وهما ساعتان قبل آذان الظهر والعمل بحلقة التعليم ، تلك اللحظات المسروقة من العمر تتجلي فيها الروح بالصفاء والنقاء، تنقسم إلي ثلاثة أقسام ، الأول قراءة كتاب «رياض الصالحين « للإمام النووي ، ثم يتحلق كل ثلاثة أفراد ، وإذا كان العدد قليل يتحلق كل اثنين لتلاوة أخر عشر سور من القرآن الكريم بداية من سورة الفيل وإلي أخر المصحف ، يقرأ أحدهم ثم يصحح

واحد منهم وهكذا إلي أن تتم القراءة الكاملة ، وينفضوا إلي الجزء الأخير وهو قراءة كتاب « حياة الصحابة « للكندي ، ودون الدخول في تفاصيل عن محتوي الكتب أو الهدف منها بالاختصار هاتان الساعتان هما الزاد الروحي لكل مستعد للرحلة ، وإن كان هذا الاختيار للكتب وميعاد التدريس له مغزي يرتبط بسائر الأعمال ليقع بين الاختيار والاضطرار ، وهذا العمل حلقة التعليم كغيره من الأعمال يقام في نفس التوقيت وبنفس الترتيب في سائر المساجد في جميع انحاء العالم التي يقام فيها هذه الأعمال وقراءة رسائل ابن تيمية من الضرورات الكبري، مع آذان الظهر قمنا إلي الصلاة ومنها إلي الغذاء الرمزية السعر المتواضعة في أطباقها، ثم إلي القيلولة ، وهذه الأعمال كاملة مستمدة من كتاب الله العزيز وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم ، ليس فيها ذرة خارجهما، نستيقظ نحو صلاة العصر ، ثم إلي درس مطول حتي صلاة المغرب ، ثم درس أخر حتي صلاة العشاء ، ثم قراءة من كتاب «حياة الصحابة « ثم آداب الأعتكاف في المساجد وصلاة العشاء والنوم المبكر للاستيقاظ قبل صلاة الفجر لإقامة شعيرة قيام الليل ، وبعد صلاة الفجر نستمع إلي درس حتي طلوع الشمس و الأفطار الجماعي والنوم لمن أراد النوم حتي حلقة التعليم ومن أراد الأستيقاظ فلا بأس .

بعد درس الفجر هناك وقفة ..! ينتهي المسئول عن الدرس الصباحي وقبل أن ينصرف الجمع الذي لا يزيد عدده عن مائتي فرد ، يقوم رجلٌ من غرفة التشكيل وظيفته الأساسية دراسة الكشوف اليومية المسجل بها حركة الدخول والخروج ، فالداخل إلي المركز يسجل اسمه ومحافظته وسنه والمدة التي قضاها من قبل والمدة التي يود قضاءها .

بعد كل صلاة فجر يقوم رجل من غرفة التشكيل معه عدد من الأوراق مسجلٌ بها سائر الجماعات التي سوف يتغير مسار أصحابها في كل يوم ، كنت انتظر اسمي بين الحين والآخر ، نودي علىّ فاقشعر جسدي للمشهد المهيب ، رجلُ ينادي ورؤوس تتقافز إلي أعلي ، كأنهم نباتات تخرج من الأرض بعد وضع البذرة مباشرة.

ثم الاجتماع بعشرة أشخاص متباينة أعمارهم هذه المجموعات تستعد فيما بينها بعد التعارف علي تلقي « الهدايات « وهو مصطلح أو لفظ معناه أن شيخاً معينا من قبل مركز الدعوة يقوم بعمل درس شرح للقائمين علي الرحلة ووظائفهم ، قد يكون في المجموعة من هو مدته عشرون أو ثلاثون أو أربعون يوماً أو قد تمتد المدة إلي أن تصل أربعة أشهر أي مائة وعشرين يوماً .

لـم يفارقنـى الديـك الأخضـر ، كلمـا اختلينـا كشـف نبـوءات المسـتقبل ومـا سـتؤول إليـه أوضـاع الجماعـة مـن كـربٍ ، وهـمٍ ، ومحنـةٍ ، وسـوف تشـتد العسـرة بعـد العسـرة ، يعقبهـا يسـرٌ ، وبهجـةٌ، وإمـارةٌ ، ورفعـةٌ للرايـة، وانبـأنـي البشـري... ..

●●●

obeikan.com

obeikan.com

تغريبة المسافر

تهيأت في الصباح لملاقاته ، متخم بمساومات لا تجدي رغم وضوح الرؤية ، حين يأخذك فارغ العقل إلي جدل عقيم ، وسفسطة بغرض إقناعك بما يجهل ، وإرباكك بسخافات عديمة الجدوى ، وتكرار رتيب ، ينصاع صاغراً بعد طول جهد ووجع دماغ وما أبديته بتوضيح التباس الأمر لديه ، بالتأكيد يجهل حقيقة الأشياء، مما جعلني اشعر بالإرهاق والملل الذي بلا حدود، وأدركت أن ذا العقل يشقي في النعيم بعقله وأخا الجهالة في الشقاوة ينعم .. فعلا ينعم بجهله مستمتعا ببلاهة كست وجهه ..يعاودني الصداع والأرق مستنهضا ما تبقي منى لمواجهة حالة الإعياء التي انتابتني، وتلملم ما تعلق في ذاكرتي ، تلقيه في صندوق القمامة علي قارعة الطريق الممتلئ بأكوام الكلام فوق جدران العمارات، وسور قطار السكة الحديد الذي تقيأ بالشعارات والإعلانات وأسماء المرشحين أغرقت الجير في السواد القاتم .. ربما انتابتني حيرة بين الشك واليقين ، فاعدت مراجعة الخطوات المتبعة في بداية تغريبة الرحلة من أهمها ..:

١. يعين بالشوري الجماعية المسئول والذي يرجع له في سائر الأمور والذي يقرر في نهاية كل مشورة من يقوم بالعمل

الفلاني ، فيأتي رجل من غرفة التشكيل يطمئن علي كامل العدد وتعيين المسئول ، ليس شرطاً أن يكون كبير السن ولكن الشرط ان يكون قد مارس هذا العمل كثيراً وقام بهذه الرحلات كثيراً .

٢. يختار المسئول ثم يسال « الخدمة يا أحباب « فيرفع يده كل من يريد القيام بهذا العمل ويختار المسئول من المجموع اثنين لمدة يوم واحد – فلكل يوم مشورته وخدمته – ومهمتهما باختصار حمل حقائب الخدمة وهي عبارة عن شوال أو أكثر يحتوي على لوازم المطبخ.. (حلل – صواني – ملاعق – شوك – انبوبة بوتاجاز ..ألخ) ويقومان أيضا فور نزول الرحلة للأرض الجديدة أو مسجد الاستقبال الأول بإحضار الوجبة الصباحية أو المسائية كالغذاء ، ويحضرا الطعام ويقدمانه ، يغسلان الصحون ويتابعان الأعمال الأخري طوال اليوم كلما سنحت لهما الفرصة بذلك .

٣. تنطلق الرحلة بعد تعيين مسئول للسفر ليس المسئول العام – يتولي شئون السفر من إحضار السيارة الأجرة والمعاملة مع السائق ..

٤. فور استقرار أفراد الرحلة في السيارة يقسم المسئول الرحلة إلي أقسام من ناحية مراجعة أذكار السفر .. ومن لا يعلمها يتعلمها بالتكرار .

٥. عند الاستقرار في المسجد الأول ، المستقبل لهذه الرحلة يأتي المسئول الأساسي عن المسجد ليتعرف من أفراد الرحلة علي طبيعة المكان ، هل المنطقة مؤهلة لهذا العمل، فهنالك مساجد قد بدأت في هذا العمل منذ أربعين عاماً، وهنالك مساجد ليس لها في عمر هذا العمل سوي بضعة شهور لا أكثر .

٦. تستقر الرحلة في كل مسجد ثلاثة أيام لا أكثر ثم تنتقل إلي مسجد جديد وهكذا إلي تنتهي التغريبة بالمرجو منها . ثم العودة إلي مركز الدعوة لعمل ما يسمي بـ « الأحوال « عبارة عن تجميع سائر الرحلات التي قامت منذ عشرين أو أربعين أو مائة وعشرين يوماً للحديث عما رأوه وأحوال العباد في هذه البلاد التي قضو فيها مدتهم .

٧. يقصد بسائر الأحوال التفاؤل وغرس البشارة في القلوب .

٨. بعد سماع سائر الأحوال ، يقرر الفرد لنفسه إما أن يبقي ليدخل رحلة جديدة أو أن يعود إلي بيته وهكذا كل مدة

طويلة يود الإنسان أن يتفرغ فيها للعبادة والعلم والترحال في معية الخالق عز وجل للتزود بنور المصطفي ومصاحبة إخوان الصفا ..!

●●●

أمسكت بقلم الرصاص محاولاً إعادة رسم بورتيريه لحبيبتي، ربما استجمع ملامحها التي لم تفارق قلبي ، كلماتها المخضبة بالعناب فوق شفتيها ، تنساب لحناً أبدياً يؤجج الحنين إليها .. عيناها اللتان تشعان بريقاً يؤثر القلوب والمها يكحل رموشها بخجل البراءة ...

رحت أقلب نبض قلبي في أحاديث لي معها ، أراني أعاند الخيال أو أنني لم أرتض في الحب خسارتك يا فريدة ولو حلما .

كنت أشد طرف القصيدة إلي ، وأنت تهبينها للعابرات قبلي أو ربما للدخيلات بعدي نظرة من فيض العشق ..

لم أرتو بعد من دمع العاشقين في الروايات الغرامية ، لا زلت أحدق في أول صفحة قرأتها معك في روميو وجوليت ..

حين كنا في الحب ندعي الأدب ..! وأعني أدب الكنايات المملة لما وجدناها بين فواصل تلك القصائد ، حين قلنا سنكمل قراءتها معا .. تبدد النور وأظلمت حياتي بنكسات متلاحقة ..!

في " ممالك العشق" وأنا ألقي عليك ما كتبه " نزار قباني" كنت أتعجل النهاية في اتساع السطور بشغف ! لا لعشقي للتجول بين قصائد تفيض بالحب العذري ووهج الحنان ؛ كنت أرتب صوت قلبي معك بما يليق بقصيدتي التي لن يقرأها عاشق سواك .

لم تكتمل بعد يا حبيبي أي قصيدة في بعدك ...! كيف اقرأ كل تلك الشعوذات وأنا لا اتكئ على شوقك ! وكيف يستوعب الورق أنني لا أحذف الكلمات التي لم تعجبني دون أن أمس العناوين بوخز قلمي .! أنت علمتني كيف تكتب الهمزات واقفة على سطور الخيال الأنيق ، رغم أنني تعمدت أن لا أتقنها لتبقى ممسكا طرف أصابعي وأنا أحاول التقاط القلم لأتعلم كيف أكونني في كلمات طاهر ابو فاشا على لسان رابعة العدوية..

عرفت الهوى منذ عرفت هواك

وأغلقت سمعي عن من عداك

وقمت أناجيك يا من ترى

خفايا القلوب ولسنا نراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي

ولكن لك الحمد في ذا وذاك

أحبـك حبين حـب الهوى .

وحبـاً لأنك أهـل لـذاك

فأمـا الذي هو حـب الهوى

فشغلي بذكرك عن من عداك

وأما الذي أنت أهـل له

فكشفك للحـب حتى أراك

أعتـرف أننـي لـم أفهـم شـيئا مـن أحاديـث النحـو والإعـراب حـين كنـت تفسـر ين لـي كيـف يجـزم الفعـل وينصـب وأدوات الفصـل والوصـل.. !

كنـت حينهـا أجـر في ابتسـاماتك صـدى الأمـل معـك وأرفـع طـرف قلبـك علنـي أبعـده عـن متنـاول العبـارات .

مـا حاجتـي يـا حبيبـي للقواعـد والروايـات ! وأنـت مـن سـكب في روحـي كل مـا لـم يتعلمـه بشـر .

توحدنا في أبجدية لن يعرفها سوانا .

لـن أبـدل طباعـي وسـأشـتري المزيـد مـن الدواويـن والكتـب وألقـي بهـا علـى رصيـف أحلامـي معـك علـك يومـا تدعونـي لكـوب

من القهوة ، أنت لم تحب القهوة يوما في فنجان وصباحاً يغرد بصوت " فيروز " وأنا كسرت كل الفناجين وخبأت حطامها في آنية سأزرعها وردا لن يزهر إلا حين تعود .

هل ستعود كل القصائد تحكي عن نفس النهاية.. ؟!
ليتني أتممت ما بدأ لي معِك . لو أنني لم أحترف في الغياب حضورك ، أو في الحضور انتهاز بهائك .

أي ضحكة لي، لأغني لك في اتخام غضبك " يا توأمة الروح" لتضحكك زفرات حبي في وتر الغناء المبعثر . حتى الأغاني معك لم تكتمل . لا أعلم لما لم أحفظ يوما كلمات أغنية كاملة غنتها أسمهان! ربما لأن الأغاني كلها لم تصل حد هيامي بك .

كم كان صوتي يعجبك ، رغم بحته التي تخلو من أي احتراف في الغناء ؛ كم كنت أحب صمتك وأنا أحبك في كلمات الأغنيات القديمة.

- هل أصمت.. ؟!
- أكملي أحب صوتك يا حبيبتي ..
- حبيبتك.. ؟
- وكل عمري ، متى ستثقين بحبي..

- لا أثق برجل لا يوقظ الفجر من أحلامي .

- أعرف أنك تحبين الصباح ولكني أحب سكون الليل والسهر .

فيرهقني ضوء النهار.

- أنت تضيع من عمرك أحلى ما يمكن أن يراه بشر ،الحب في طلعة الفجر انقى من بياض النهار ، وملامح وجهك مطبوع في السماء .

- حبيبتي غني لي "هذه ليلتي "..وتمايلي طرباً في ساحة القلب الموجوع بفراقك .

- كم أخشى يا حبيبي علينا ليلة لا يجمعنا بها قمر..!

وحين لم تكتمل اللوحة أدركت أن فراقنا قد اقترب...

●●●

رحلة أقدام

لم أكن على دراية جيدة بالكمبيوتر ، كل ما يربطني به فتح الجهاز وفتح ملفات word أدون فيها ما تجود به الذاكرة ، أو ربما مشاهدة فيلم Akshan من أفلام السينما الأمريكية التي فرضت سطوتها علي العالم أو Borno يثير شهوتي لمضاجعة زوجتي التي اهجرها كثيراً لسفرياتي المتكررة ، أو ربما بلا خجل نتيجة ما فعلوه معي في أمن الدولة ، سلبوا رجولتي ولم يعد عضوي قادراً على الانتصاب ، كل الوصفات لم تعد قادرة علي كسر الحاجز النفسي عند الاختلاء بها ، نظراتها الباكية تؤنبني وتؤرق مضجعي، اتواري خجلاً في نفسي ، اتقزم نملة تتخفي بين أكوام الرمل ، تصحرت ذاتي منسحقاً تحت أقدام البشر في الميادين المزدحمة .

اختليت في حجرتي بسيجارتين بانجو أعطاني إياهم "حودة الفكهاني " وكوز بيرة اشتريته خلسة ، انتشيت في صحبة الوحدة وتجرعت من الصمت ما اسكرني وافقدني الوعي ، إلا أن الديك أصر على أن يشاركني الخلوة ، وأشار على أن أفتح نافذة في FaceBook اتحاور فيها مع العالم وأصدقاء من كل البلاد ،وبمهارة الخبير سجل بيانات الصفحة التي اسماها " الديك الأخضر "قائلاً بعنجهية لم اعهدها منه ..: عيش بقي ..!!

كلما تحدثت مع أحدهم عن رحلات الأقدام أزددت شوقاً إليها وعملت علي أن احصل علي فرصة كهذه وبعد استئذان طويل وطلبات كثيرة في المشورة اليومية الصباحية في مسجد " الرؤي " مشيت خمسة أيام متواصلة بعد طلوع الشمس مباشرة إلي ما شاء الله فقرية يمكن الوصول إليها بعد ساعتين من المشي وقرية أخري بعد نصف ساعة وهكذا ، وقبل البدء يقف الجميع أمام المسجد ويقسمنا مسئول الرحلة إلي صفوف منتظمة كبار السن في الأمام والأدني في السن يلونهم والمسئول يمشي في مؤخرة الطابور ، والمكوث في المسجد الواحد ليوم وليلة واحدة لا أكثر طوال المدة ..:

- استهبل ، عاوزك تستهبل أكثر ...!

كانت كلمات رفيقي في قاطرة الأقدام غريبة على أذني وزالت الغرابة حين أردف " المستهتر ، من يذكر كثيراً " لم تكن ملامح وجهي العرقان تحمل سوي الاستفهام والتعجب ...؟!!

ولكن أذكر أني قد قمت برحلة عشرين يوماً كاملة سيرا على الأقدام وقفاً علي المواصلات في الصباح فقط ، ولكن عندما تصل إلي المسجد المرام ، تقسم الرحلة إلي ما يسمي " بالانتشار : وهو أن تنتشر الرحلة في المنطقة الجديدة لتخبر الحي أن الرحلة قد

وصلت وتخبرهم بأن حلقة التعليم سوف تقام لاحقا ثم تعود بعد نصف ساعة انتشار الخدمة لعملها وباقي الرحلة في التعليم إلي صلاة الظهر وتتوالي الأعمال الغذاء ثم القيلولة فصلاة العصر ثم الزيارات الخارجية (وهي أن يصطحب أهل المنطقة من الرحلة رجل أو أكثر لزيارة بيته أو زيارة مريض أو زيارة وجيه أو زيارة فقير وغيرها .. ولكل زيارة آدابها الخاصة وحديثها الخاص ومثال وحيد علي ذلك زيارة المريض .

في زيارتي لمريض بعد صلاة العصر دخلت المنزل ومعي اثنان من الرحلة فتكلمت عن رفع المعنويات ودعوت بدعاء المريض بصوت عال والجميع يؤمن ، تنتهي الزيارة في دقائق معدودات والهدف أو الغاية لمن أراد الرجوع إليها – فهي فضل زيارة المريض والدعاء له – وهي مبسوطة في كتاب " رياض الصالحين " .

وبعد الزيارات الخارجية يتجه افراد الرحلة إلي المسجد المقام فيه الأعمال لصلاة المغرب وبعدها مباشرة يقوم من استقر عليه رأي المسئول بالإعلان " وهو ان يعرف الرحلة للناس ومقاصدها من اقامة الاعمال الصالحة ويدعو الجمع بعد ركعتي السنة للاستماع لما يقدم بين المغرب والعشاء " وهذا كله في جملة واحدة متعارف عليها عالميا ، وسوف اذكرها علي سبيل العلم بالشئ ؟!

(نعلم جميعا ان نجاحنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة هو فقط في الامتثال لأوامر الله على هدى سنة رسوله الكريم صلي الله عليه وسلم ، من اجل ذلك المقصد نصبر أنفسنا قليلاً ،كيف نحيي جهد الرسول صلي الله عليه وسلم بعد ختام الصلاة وركعتي السنة وجزاكم الله خيراً) .

فمن الناس من يجلس ومنهم من يخرج من المسجد لاستكمال ما تركه في الخارج من الشئون المعتاد عليها خاصة وأن الساعة في بلاد الأرياف هي ساعة الغذاء .

تنقسم الرحلة ما بين المغرب والعشاء إلي أقسام يسمي بـ " جولة " فالقسم الداخلي (أي داخل المسجد) موزع كآلاتي :

الترغيب : وهو أن يقوم من اختير في الصباح لهذا العمل بالحديث عن فضل هذه الرحلات وأهميتها علي المستوي الشخصي والمستوي الإنساني بصفة عامة ولا يتوقف عن الحديث إلا عند سماع آذان العشاء .

الاستقبال : هو شخص مكلف باستقبال الداخلين للمسجد في هذه الساعة بالروائح العطرية أو بتوجيهه كتعلم الوضوء والصلاة ...

خاص بالذكر : وهو شخص مُكلف بأن يكون في دعاء مستمر طوال المدة ما بين المغرب والعشاء كطاقة محركة من الداخل ليصعد عمل صالح إلي الله فتهبط أحوال صالحة علي الرحلة و الإنسانية جمعاء ..

أما القسم الخارجي (أي خارج المسجد) فهم من يقومون بالجولة وهي مقسمة إلي :

- مسئول الجولة : وهو شخص يرجع إليه في ترتيب سير الجولة وألا يفترق كُلٌ منا عن الآخر ، ويرشد أو يأمر أو ينبه إلي اقتراب آذان العشاء والعودة إلي المستقر في المسجد .

الدليل : وهو شخص من أهل الحي جئ به للاستئناس فلا يهاب أهل الحي من اللحي أو أن خمسة من الناس يقفون ببيته ، وهو يعرف المنزل المسلم من المنزل النصراني ...

المتكلم : وهو شخص يتكلم مع من يحدده الدليل تبعا لمعرفته بأهل حيه ، وهو يتكلم في أربعة نقاط " الله ، الرسول، الموت ، أمانة الدين " باختصار وايجاز وينصح بالذهاب إلي المسجد لسماع ما سوف يقال بعد العشاء .

الذكر: وهما شخصان يقومان بعمل الذكر الدائم وليس لهما في الحديث مع الناس أو في توجيه القافلة .

وتعود الجولة قرب آذان العشاء وبعد الصلاة يقوم من اختير صباحاً ليقول كلمة يدعو بعدها ويؤمن الجميع علي دعائه ثم تنقسم إلي حلقات كل الحاضرين فيها " ثلاثة أو خمسة أشخاص للتعارف والحديث عن أهمية هذه الرحلات نفسياً وإيمانياً .. ألخ

تنبه الخدمة علي انتهائها من العشاء ويقوم أفراد الرحلة بعد الاستئذان بلطف ، إلي العشاء ثم قراءة في كتاب " حياة الصحابة و آداب النوم (طريقة نوم الرسول صل الله عليه وسلم) ، والاستيقاظ قبل الفجر لقيام الليل و صلاة الفجر والتحلق للمشورة الصباحية ومن ثم الانطلاق إلي قرية جديدة ، وهكذا إلي أن تتم المدة ، تعود الرحلة إلي مركز الدعوة ، وكل الأعمال تمر على كل الأفراد تباعاً حتي أن المسئول يمكن أن يتغير تبعاً للمشورة .. كلما اختليت اعتليت ..وتوحدت ذاتي في ذاتك ..!

●●●

الخدمة والاختلاط

يتأجج داخلي الحنين ، تنبض فكرة وأقوم بجولة في أعماق الذات المنسحقة ، أبحث في هذا الليل عن مهرب ، أركب غيمة ، أهمس هيّا نبحث عن ملك غاب في صخب الهتافات ، وعظمة ملك امتد منذ أغتيل السادات ، أُعطوه القدرة ليحمل عرش سنوات الخيبات ووقف يبكي مذهولاً من هول الصدمة .. كيف ثار الناس بعدما قالو ا أن الشعب جميعا قد مات ..؟!

وراح يحذر ويتوعد لا بديل لديكم أيها الأخوة المواطنون ...

"ما يحدث مؤامرة كبري ..يا شعبي الكريم إما أنا أو الفوضي ..!!"

دونت في صفحتي مستأنفاً ما تجود ذاكرتي عن تلك الفترة وما كنا نشارك في أعمال الخدمة والاختلاط التي عدت من أسباب الذهاب إلي المركز بـ " طموه " فكل محافظة مقسمة إلي مناطق نقضى أسبوعا في كل مركز من مساجد القاهرة في حي مدينة نصر، أو في مصر الجديدة تجتمع المشورة علي أعمال الخدمة المتعلقة بأعمال التنظيف العام للمركز وإعداد الطعام وتقديمة ولوازم خدمة الطعام " والاختلاط " أي تجميع أفراد

مناطق مختلفة للتعارف ، " والاستقدام " مثل الاختبار المفاجئ فيرسل المركز دعوات لحضور يومي استقدام وهذا لمناقشة الأمور الخاصة بايجابية الأساليب المتبعة أو سلبيتها وتطويرها و تهذيبها .. وهناك عمل أخير لا أذكر اسمه بمقتضاه يقوم مجموعة من خمسين فردا علي الحراسة صباحا مساء طوال الأسبوع عند عودة هؤلاء الأشخاص إلي ديارها الأصلية تقوم المساجد بسماع أحوال الخدمة، والاستقدام والاختلاط عن طريق سماع الأحوال من جميع القادمين من الرحلة ومعاناة الناس من الضنك والفقر وانتشار أمراض الفشل الكلوي والكبد والسرطان وما يجري في البلاد .

استمر هتاف من وقفوا في الميادين ..رافعين المصحف والصليب ، وتجلى النور والطائرات تحلق في السماء .. " الشعب يريد اسقاط النظام " .. والحيرة تنتابنى بسؤال ..:

- هل يمكن أن يفعلها ويهدم المعبد على الجميع ..؟!

●●●

خارج البلاد

ما زلت أبتلع حبات الأرق في كوب القهوة المرة ،

ألمح حبات القلق تتساقط في الظلمة ..

والواقف يمسك بعصاه الذهبية ، يشير ناحية العتمة ، يفج النور ..

يقيدني البرد في حبال الوحدة، من أين جاء الصقيع إلي حجرتي ..؟! وجهك ينسيني زمن القهر ، يخط فوق ملامحه تجاعيد الشيخوخة وأشواك نبتت في رأسك المشتعلة وشاربك يتصل بلحيتك في هيئة كومة من العهن المنفوش ، تصبغها بالحناء .. ورائحة سيجارتك الساكنة شفتيك منذ الأزل تمتص من جسدك عبق الحياة ، تعصفك رياح اليأس ، وابتسامة كأوراق الخريف ، مصفرة.. لاشي في هذا السجن يعجبني ، بلاء وابتلاء، عذاب ووجشة والحيرة ، اتسأل ما الذي يغري فراشة الحقل ، بلهيب النار ..؟!

لماذا تتعلق النحلة بخلية واحدة فلا تتركها طوال العمر ..؟!

أتمرد .. أخرج من شرنقة الخوف يتبعني شيخ يمسك بمسبحته ، ويخطب في جموع الناس والولد الناشط يهتف فوق

المسرح يتباهي بكونه مفجر الثورات وحشود ترهقهم ذلة .. اهتف من فوق الجبل العالي .. يا أولاد بلدي والله لبكره يطلع النهار ..

ونغني علي العود نتمايل علي سحر نغمات اللحن وعذوبة صوت الفتي الأسمر في الخيمة ، يمتزج بصوت "محمد حمام " من مذياع المنصة في وسط الميدان، تختلط الصورة في مركز الدعوة برحلة المسافر لنشر الدعوة خارج حدود القطر ، وضرورة استخراج تأشيرات لكل من يريد السفر خارج البلاد ، قبل السفر يجب أن يستقر في المركز مدة كافية لتكتمل لدية الرؤية الشاملة عن البلد التي يريد السفر إليها عن طريق مجالسة القدامي الذين سبقوهم من قبل ، يشرحون ، ويوجهون ، يوضحون ما سيواجهونه هناك من صعاب بعدها يحصل على التأشيرة ويتم السفر ، وعند العودة يقوم العائد بشرح الأحوال عن الجماعة هناك ، ليستفيد الجميع من التجربة .

سافر الشيخ " صبري الغتورى " إلي الهند وبنجلاديش وعاد مسروراً إلي شرح وتوضيح الدعوة الإسلامية في هذه البلاد ، والدعوة ليست وقفاً علي أحد ، بل لكل الناس حتي إن هذا الشيخ جاوز السبعين من عمره ويعمل بائعاً للفاكهة .. يدرس على يديه قواعد الدعوة الحاصلون على أعلى الدرجات العلمية من أساتذة الجامعة وأطباء ومهندسين وطلاب وحرفيين وغيرهم ، في

حلقة العلم، ودائما ما كان يردد بتواضع جم قائلاً ..:

" وليت عليكم ولست بخيركم ..! "

ووجدته حاملا لا فتة على صدره ويهتف .. حرام عليك ارحل زهقنا خلاص ..!!

يتساقط المطر بدخان الغازات المسيلة للدموع وينتفض الجميع ...

●●●

obeikan.com

obeikan.com

مجالسة النور

- " وائل سوف تكون مع النور ..!"

كلمات المسئول عن المسجد الذي لا تنتهى أعماله يومياً ، وكانت تعني تغيير حركتي فبدلا من حضور الأعمال في مسجد " الرؤى " سوف تتحول قدماي إلي مسجد النور الذي انشأه صاحبه الشيخ "مبروك عبد المؤمن " قرر بناء المسجد ، وأصر علي إقامة الأعمال الإيمانية في مسجده الجديد، كي يقتطع من أصل الحضور الدائم في مسجد الرؤى أفراد، يعملون معه عندهم القدرة علي القيام بالأعمال طوال أيام الأسبوع ولم توجه لي الدعوة ، ازدادت حيرتي ..هل أتمني الانضمام إلي المسجد الجديد بالقائد الجديد أم أظل كما أنا في مسجد الرؤى ..؟!

أطلعت المسئول دون أن انبث ببنت شفة ، كان عدد ما في مسجد الرؤى لا يزيد عن خمسة أو ستة أشخاص ، انتقلت إلي المسجد النور وبدأت في الأعمال الإيمانية حتي أن "عبد المؤمن" أخو الشيخ مبروك رغم انضمامة إلي نفس التيار الفكري إلا أنه قد أصيب بالتشتت لفترة و السؤال مع أي مسجد سوف يستمر عمله ..؟! ظهرت آنذاك في المنزل مشكلة التعليم ، وسأل الوالدان هل سيظل الحال هكذا من المنزل إلي المسجد والعكس ..؟! ،

فعرضت المشكلة علي المسئول الأول للجماعة وبما إنه بانفصاله عن المسجد الأصلي لم تعد هنالك أعمال جماعية ، فالشوري التي يجب أن يجلس فيها ستة أو ثمانية أشخاص لم يعد يجلس فيها غيري وغيره، صارت الشوري قرارات فردية ، وهذا ما لم يكن له وجود في الشوري الجماعية كُلٌّ يقول رأيه ويختار الرأي الأكثر فائدة ومع كثرة الجلوس في الشوري الخاصة بالمسجد والشوري الأسبوعية لعدة مساجد والشوري الشهرية والشوري السنوية القطرية والتي تقام في المركز ، تتضح فكرة تطبيق الشوري وتأتي بثمارها ، لكن الإنفراد الذي حدث جعل من عمل الشوري اليومية مهزلة ، فلم تحقق شوري واحدة مدة إقامتي في المسجد المنفصل، هذا لأن المعني فيها زال بزوال المجموع وأصبحنا نعيش أنا والشيخ كالقط والفأر ، نتبادل الأدوار حتى ضجرت باللعبة، فلم أرض بهذا الوضع عملاً بمبدأ الطاعة ، لكنني خسر ت جماليات العمل الجماعي في مقابل هذه الطاعة ، عندما أعرض مشكلة ما كنت أتلقي أوامر سلطوية بالتنفيذ وليس الأمر هكذا في المعتاد فالأوامر الصادرة لم تكن تحمل صفة السلطة في مسجد الرؤى ، لكنها أوامر كانت دائما ما بين الرفض والقبول ، اختيارية والآن أعامل في مكان فيه مسئول واحد وعامل واحد فكيف تكون طبيعة العلاقة بينهما ،

لا أعلم لماذا وافق المسئول الأساسي على أن تقام الأعمال في مسجد النور..؟! لماذا لم يرفض من البداية و حاول الحفاظ علي الشكل العام وألا يحدث انفصال قد يؤدي إلي تدمير هذا العدد القليل ، فوافق مرغما وأظن إني قد دفعت ثمن هذا وحدي ؟، فالمسئول الأساسي اتاح الفرصة للشيخ " مبروك عبد المؤمن" في إقامة الأعمال في مسجده الجديد و يود اثبات نفسه أو يريد أن تكون الأعمال بدلاً من تكدسها في مسجد واحد أن تنتشر في أكثر من مسجد ، أما الذي سوف تقام عليه التجربة فلا حول ولا قوة إلا بالله .. ومن النور بدأت روح الدعوة والتبليغ تتجدد ... ..

●●●

obeikan.com

أول الجـــرح دمعة

تركت كليتي جراء أزمة طبية واجهت والدتي – عملية استئصال كلية بسبب الفشل الكلوي اللعين الذي تفشي في بطون الناس الفقراء ، تكلفت العملية ما يقرب من ستين ألف جنية ، انصرفت عن الذهاب إلى الجامعة متحججاً بالأعذار في مرض والدي الذى يعوق تقدمي في الدراسة ، لكن العلاج كان في القاهرة؛ طالت مدة إقامته ووالدتي إلي أن شعرت بإن الرقيب زال وانمحي فالتف أصدقاء السوء حولي إلي أن أودي هذا الإلتفاف إلي رسوبي في الكلية في الفرقة الثالثة لخمس مرات متتالية ؛ لم أشعر بفداحة الأمر إلا حين عرض في المنزل تارة بحضور المشايخ وتارة أخري في المسجد بحضور المشايخ فقط دون والدي ووالدتي..

ليس مرض والدي هو السبب الأخير في هذا الفشل الدراسي، لكن في الخمس سنوات لم أفقد كل شئ ، كان هناك نجاح لم يعيره أحد أي اعتبار أو اهتمام .. لوحاتي التي رسمتها وديوان شعر وميدليات ذهبية لبطولات الشطرنج ، ورحلات الصيد التي كنت أعود منتصراً وقد امتلأ كيس القماش بالأسماك .

دفعتني انتكاساتي المتلاحقة إلي اللاجدوي ومزقت لوحاتي الزيتية إرباً ، وما زالت علي جدران قلبي معلقة .

" تحولات لا مرئية " ديواني الشعري الأول والأخير ما زال قلبي ينشد مكانه إلي الآن وما من سبيل لخروجه .

بعد احراقي سائر أوراقي ومن بينها الديوان ، تذكرت أني قد دفنت نسخة من الديوان في ممر ترابي في المنزل ، لكن قد نسيت مكانه إلي الآن ، وتتداعي قصائده من ذ اكرتي ..

رسائلي الأدبية المتميزة في الإحياء في شرح المصطلح العروضي لتبسيط العروض للخليل بن أحمد عن طريق عروض التفعيلة .

والمقدم لجمعية الفنون والآداب الثقافية في أول دورة لها هذا نجاح شخصي لم ينقذني من فشلي في كلية الحقوق ولم يعوض أمي أو أبي أو يعوضني شخصياً عن شئ يذكر، ماذا يفيد لو تفوقت في الجامعة النهاية معروفة وحتمية الجلوس في البيت بعد سنوات من المذاكرة والجد في تحصيل العلم أو ربما يكون مصيري الانتحار في النيل مثلما فعل «عبد الحميد شتا " الأول على دفعته فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.. وحصل على المركز الأول فى اختبارات وزارة الخارجية للعمل بالحقل الدبلوماسى .. لأن دولة الظلم والفساد أقصته بسبب فقر أبيه.. ! وكذلك الحال

بالنسبة للنيابة لا أمل فيها لأن أولاد القضاة الذين يحصلون علي مقبول لابد أن يكونوا قضاة ، والفقراء من أمثالنا ليس لهم وجود في الحياة عليهم أن يرضخوا بالذل والهوان ، لم يعد لنا عيش في مصر ولابد من ثورة علي هذا الواقع المرير.. ربما يكون انضمامي لعالم المساجد لانفصالي عن كل شئ يأتي بثمرة فالكلية فصلت منها فصلا نهائيا ، والفكر والأدب والرسم آيات ليس لها سامع، والأم والأب من يرعاهما والأخ الصغير في مصحات الإدمان والاختان الكبيرتان مشغولتان غي شئونهما الخاصة .

كلما ضاقت الدنيا ..كان المسجد خلاصاً وملاذا ..يلوذ بنبض الوفاء والنفس رقراقة عذبة الروح ، تحمل طهر العذراء وتُودّع ولدها ، تكسوه من روحها كمن تختال بفخر إن الله اختارها عن سائر الخلق .

●●●

obeikan.com

رؤى الرؤيا

من نافذة الديك الأخضر صغُر العالم أمامي كثيراً وامتلأت ذاكرتي بكمٍ كبيرٍ من المعلومات ، تحاورت النوافذ واتسعت الرؤي، وعدت فى نهاية المشوار إلى مسجد الرؤى بعد تجربتى فى مسجد النور .. وبعد قيام الليل فى المنزل ثم ذهابى لأداء فريضة الصلاة فى مسجد الرؤى وهو يبعد عن المنزل بمقدار عشر دقائق كاملة .. نتحلق حول مسئول المسجد .. طويل القامة .. ممشوق القد .. وجهه مثلثى التشكيل .. أنفه بارز بطول فى الأرنبة .. كبير الأذنان نسبيا .. من ذوى الفم الواسع اسمه (خالد الشناوى) يعمل مهندساً زراعياً .. متزوج ويعول خمسة أطفال .. وهو مسئول عن إقامة الأعمال فى مسجد الرؤى ومسئول عن سائر مساجد المدينة بأكملها بل ومسئول عن المساجد التى تقام فيها الأعمال الإيمانية فى المحافظة قاطبة .. حتى أنه يمثل وفد سائر مساجد المحافظة فى الاجتماع أو الشورى السنوية لمساجد الجمهورية ..؟ .

نبدأ فى الشورى وهو كقاعدة أساسية فى الدين الإسلامى ومنصوص عليها فى الكتاب العزيز واسم سورة كاملة مسمى باسمها .. سورة الشورى ، ولها آداب ومقصد وفضل :

- إن لا تجيب على سؤال إلا إذا قيل لك أو جاء عليك الدور

- ألا تسأل إلا بعد استأذانك برفع اليد ...

ألا تشير على أحد بأصابع الاتهام .. عندما تشير بالسبابة وتحتفظ لنفسك بالوسطى والإبهام والخنصر والبنصر - شكل من أشكال الاتهام - والأفضل الإشارة بكف اليد كاملة . كما فعل القدوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

الأسئلة والإجابات تكون فى نطاق الأعمال فقط .. ليس للشورى أى تأثير فى الأعمال الدنيوية .. إلا أن تكون شورى خاصة.

هذه بعض من آداب الشورى الصباحية .. أما مقصد القيام بأعمال الشورى فهو تسديد الرأى ، ولا خاب من استشار وانتشار المحبة والألفة بين الأفراد ومن فضل الشورى ، انتشار احفاف الجالسين بالملائكة ويمكن الرجوع لفضل العمل فى " كتاب الصالحين " باب فضل المشورة ..

أما فحوى الشورى فهى الأعمال الفردية والأعمال الجماعية والشورى منوطة بالاثنين ، لكن بالجماعية تبدأ الشورى فيها بسؤال المسئول عن " أحوال الأمس " أى كل الحاضرين يقدمون تقريراً شفوياً عما قاموا به من أعمال خاصة بالزيارات اليومية .

Opelkan.com

وقد سبق وأشير على الزيارات وأهميتها إذا كان هناك جولة فى اليوم السابق يتحدث عنها البعض من الموجودين .. والسؤال الثانى فى الشورى عن تقسيم الزيارات الجديدة ... فمثلا : فلان يزور مَنْ ؟ فكل من عنده زيارة يقول عليها ويحاول تنفيذها وتكون فى مقام هام من أعماله .. و السؤال عمن عنده استعداد للقيام على خدمة المسجد من تنظيف شامل لصحن المسجد الخارجى والبهو الداخلى والقاعة المقامة فى الدور الثانى ودورات المياه الداخلية رجالى وهى خمسة عشر بأباً بطرقة ، ودورة مياه حريمى أربع أبواب فقط ، لم أقم بتنظيفها سوى مرة واحدة خلال الفترة من ١٩٩٩ إلى منتصف ٢٠٠٣م ودورة المياه الخارجية العمومية ستة أبواب .. هذه الخدمة الخاصة بالنظافة ، لكن هناك خدمة الطعام وكل من خدمة المسجد أو الطعام بالرغبة والشوق إليها كعمل من أعمال البر العظيمة ، ليس فيها إجبار المسئول لأحد من أفراد الشورى على القيام بعمل الخدمة والمتبع أن يقول المسئول ..:

- مَنْ مستعد القيام على الخدمة .. ؟!

الجميع يرفع يده لا تبريراً لرأى الفرد والمسئول يختار .. معنى لا تبرير لرأى الفرد إن الجالس فى الشورى يبدى رأيه دون إبداء أسبابا أو تعليلاً للرأى فأوافق أو أرفض .. دون ذكر أسبابى

الخاصة فى رفض عمل ما أو القيام بعمل أو الاعتراض على شئ..

بعد الجلوس فى الشورى والحديث فى مقاصدها وآدابها وفضلها والسؤال عن أحوال الأمس والزيارات والجولة والخدمة ... تنتهى الشورى مع طلوع الشمس ثم يصلى الجميع صلاة الحصول على الحج والعمرة ، ومن أراد الانصراف لعمله فلينصرف ومن أراد الجلوس لأداء عمل من الأعمال التى ينبغى عليه تنفيذها فليفعل.

هذه الشورى لها دفتر خاص تدون فيه الأعمال اليومية باسماء أصحابها .. ولكل شورى دفتر فمثلاً كل مسجد له دفتر للشورى اليومية .. وكل مجموعة مساجد تتشاور كل أسبوع مرة لها دفتر خاص باليوم.. و هناك دفتر خاص لمجموعة من مساجد فى قرى متباعدة يجتمعون اسبوعياً و دفتر للشورى الشهرية .. يحفظ هذا الدفتر فى المسجد الذى يختار لتقام فيه الشورى .

كل من يحضر الشورى يجب أن يكون معه دفتر وقلم وذلك دليل اهتمامه بالشورى ويسجل فى هذا الدفتر الأعمال المزمع إقامتها لمدة يوم أو لمدة أسبوع كامل فى الشورى الأسبوعية ولمدة شهر فى الأعمال الشهرية ..تنتهى الشورى الصباحية وأعود بعد

الخدمة التنظيمية من كنس ساحة المسجد الخارجية وبعد كنس دورات المياه ترفع الشباشب والقباقيب و ينثر المسحوق المنظف يميناً ويساراً ويركب الخرطوم فينزل الماء مندفعاً على الأرض ويحكها بمقشة خاصة حكاً كثيراً حتى تصبح الأرض مليئة بالرغوة البيضاء .. و تمسح بالمساحة فلا يبقى إلا دور الفنيك .. مقدار جردل كامل يفرغ فى سائر الدورات ..بعدها يتم فتح الخرطوم و مسح شامل لدورات المياه و تنزل الشباشب والقباقيب بعد تنظيفها بعدها يكون المكان مفتوحاً للاستعمال ..

إذا كانت الخدمة الخاصة بالطعام ، ربما تكون قريبة إعداد إفطار لخمسة أفراد أو فردين ، لكن في الشوري الشهرية كان مسئولوا المساجد يجتمعون بأفرادهم في أحد المساجد ، فالمسجد المضيف يقوم بعمل غداء أو عشاء أو إفطار لعدد قد يربو علي العشرين فيكون الذهاب إلي السوق حتماً ، ينزل أربعة من الخدمة لإحضار المشتروات ، و طبخ وتقديم غسيل الأواني ثم الإنصراف إذا ما أراد الإنصراف ، ولا ينبغي أن يمشي من الخدمة إلا بعد أن يأكل وهو لا يأكل عادة إلا بعد أن يأكل الجميع وسماح المسئول.

وتغلف الخدمة بطابع الذكر ، فيجب اشتغال الخدمة بالذكر داخل المسجد ، وخارج المسجد عند شراء الاحتياجات من السوق، والعودة إلي المسجد قبل كل صلاة وأداء العمل وخدمة التنظيف

يومان في الأسبوع غير ليلة الخميس حتى صباح الجمعة ، أما خدمة الطعام فكل يوم ، ومن حسن الحظ تم فتح كشك زجاجي لبيع الفول والطعمية والعيش الطازج داخل سور الساحة الخارجية للمسجد يسر علينا بعض الأمور .

انتفضت متمرداً على هواجس اليأس ومن رؤية الرؤيا تشكلت الأمنيات ، تسرب إلي جسدى دفء الطمأنينة ، وفتحت نافذتي لنور شمس الصباح الوليد ..

●●●

obeikan.com

ترنيمة العائد

" ابتاه ، كيف الأحوال..؟! "

نزلت كلماتي علي مسامع أبي مبتور الساق اليمنى بعد أصابتها بغرغرينة سكر الأطراف ، وينتظر عملية المياه البيضاء في العين اليمني بين الحين والآخر أو الذهاب إلي الطبيب المعالج في القاهرة.

دخلت البيت لأنام من فرط الاجهاد واستيقظ مع صلاة الظهر في المسجد المجاور للمنزل ، أفتح المكتبة التي أنشأتها أمى وهي مكتبة لبيع الأدوات المدرسية وكتب التراث .

اجلس منهمكا في قراة القران (جزء كامل كل يوم) إلي أن يأتي ميعاد الزيارات والمتشاور عليها صباحاً ، وميعادها اليومي بعد العصر ، فاغلق المكتبة وانتهي من الزيارات بعد صلاة المغرب فافتح المكتبة آنذاك وبعد صلاة العشاء مباشرة يجب أن أعود لمسجد " الرؤى " لاتمام حلقة التعليم ، فنتحلق حول القارئ في " رياض الصالحين " بعد شرح الآداب الخاصة بالحلقة وفضلها ومقصدها ، ومن آدابها الانصات ، وعدم الإلتفات لما يدور حولك، بل يكون الاصغاء باهتمام والنظر إما في وسط الحلقة أو إلي

القارئ، ومن آدابها عدم إلقاء أسئلة فيما يقال ذلك إن القارئ مثله مثل السامع لا يملك حق الفتوي أو الشرح فهو ليس بفقيه وليس بعالم – لذلك من آداب حلقة التعليم إذا سئل القارئ سؤال ، يوجه السائل إلي العالم الأزهري فهو الأقدر والأجدر علي الفتوي، وقد أقيمت الآن في طول الجمهورية وعرضها لجان للفتوي ترفع التليفون فتسأل الدليل عن رقم لجنة الفتوي فيعيطك إياها ثم تطلب لجنة الفتوي برد متخصص في الأمور الدينية تسأله مباشرة فيجيب عن كل الأسئلة ، إما ما يقرأ في " رياض الصالحين " فهو علم يسمي علم الفضيلة ، أو بمعني أخر هو جواب للسؤال الأتي، ما القيمة المتحصلة بعد قيامي بهذا العمل مستوفيا الشروط التي تصلح لإقامة العمل وقبوله ؟ قطعا هي قيمة معنوية وغير مادية .

ومقصد الحلقة هو تحصيل العلم النافع والازدياد منه ، وفضل حلقة التعليم تحصيل الأجور . ويقدم لإكرام المسلمين (شاي / لبن / أرز بلبن / حلبة / عشاء خفيف / بسكويت بالعجوة / ملبس ...) مع الروائح الذكية من مسك / عنبر / ياسمين / فل ، ... ..

أعود إلي المكتبة فأجد أمي ، تارة أملك نفسي فأكون هادئاً رزيناً لا أتكلم كثيراً ، وكثيراً ما كنت أثور من جراء مناقشة تتضح فيها قيمة العمل للإنسان أو قيمة الحصول علي شهادة ، أمي

التـي تجـاوزت السـتين مـن عمرهـا ، مربيـة حصلـت علـي درجـة التوجيـه في مـادة التربيـة الفنيـة إلـي أن أحيلـت علـي المعـاش .

أغلق المكتبـة في منتصـف الليـل تقريبـاً ، بعـد تنـاول العشـاء أقـوم للنـوم حتـي يوقظنـي الهاتـف لقيـام الليـل وصـلاة الفجـر في تكـرار متتابـع بمتعـة الهدايـة وصفـاء الـروح.

يصيـح الديـك فـوق السـطوح .. تنتابنـى رعشـة مـن هـول مـا رأيـت ، كائـنٌ خـرافي يطـل مـن فوهـة النافـذة قـال متعجبـا .. :

- أسـألك عن أشياء غريبة ، تؤمنون بها ، لكنكم لا ترونها؟!

قلت :

وهل لها تأثير في حياتنا ..؟.

قال :

- مثل ماذا ..؟!

قلت :

- رؤوس الشياطين ، هل رأيتها في حياتك ؟!

قال :

- أتعني شياطين الإنس ، أم شياطين الجن ..؟! .

opelkan.com

قلت :

- أما رؤوس شياطين الإنس فكثيرة .. منها رؤوسٌ قد مُلئت غباءً وحمقاً ؛ لكنَّ لها تأثيرٌ غريبٌ في دنيا الناس ؛ إذا ما كان صاحب هذا الرأس حاكما مستبدا ، أو رجل أعمال من أصحاب رؤوس الأموال ، تنحني له الرؤوسٌ الذكيةٌ العاقلةٌ، عصرتها مصاعب الحياة حتى احتاجت إلى رأس هذا الشيطان الغبي الأحمق.! أنظر إلى شوارعنا وأسواقنا ، فسترى شباباً مُضيعين ، يضعون على رؤوسهم ما يشبه ريش النعام في انتفاشه ، ويلبسون سراويل إلى منتصف أفخاذهم الناعمات ، ثم هم لا يستحيون بعد ذلك أن يمشوا بين الناس في الأسواق وعلى سواحل البحار ، وربما ادعوا زوراً وبهتاناً أنهم من أبناء أبينا آدم عليه السلام!

قال.. :

- لكنَّ هؤلاء نراهم بيننا ، وإنما سألتك عن أمور عجيبة نؤمن بها ولا نراها ..!

فعجب مني واحمرت عيناه ، وكاد يطلق لسانه الذي يبخ نارا لولا أن الله سلَّم ، وبادرته.. :

- ألم يشبِّه الله تعالى طلعَ شجرة الزقوم في جهنم- نعوذ بالله منها - برؤوس الشياطين ؟!

فقال ..: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴿٦٥﴾.

قال : بلى!

قلت :

- هـذا غايـة الحسـن في الأسـلوب البلاغـي القرآنـي ، فقـد شـبَّه شـجرة الزقـوم ونحـن لـم نرهـا ، بشـيء بشـعٍ لـم نـره أيضـاً!

قال :

- بـاللّه عليـك لا تتعبنـي ! أعطنـي مثـالاً مختصـراً مـن واقعنـا وأرحنـي أراحـك اللّه!

قلت :

- أيهـا الديـك !.. هـل تذكـر قضيـة الديـك في روح محبـات ومـا دار بـين قنديـل ومسـتجاب التـي هـزت الواقـع الأدبـي وسـارت محـل جـدل ونقـاش .. هـل تتذكرهـا ..؟

زمَّ شـفتيه حانقـاً ، وقطّـب حاجبيـه ، ونظـر إلـيَّ نظـرة احتقـار ..ولـم ينطـق بحـرف..!

●●●

obeikan.com

تحولات لا مرئية

امتطيت وحدتي أقارع اللحظات بهمس الحنين، تأخذني غفوة الروح، تتربص بردهات الجوى رعشة الانتظار

اكتبكِ انتصارٌ قائم ..

ارتشفُ من اعماق النور لِحظات الدهشة ، سرابٌ يلملم خطواته المنكسرة،

ينتزع آهة الحسرة من عيون الصغار فوق أرصفة المأوي ،

والاحجياتُ فجرا عابثاً يسكب من الغيم نظرات حزينة

تلثمُ الأرض مطراً يمتزج بشوقٍ جارفٍ يحتويني أملاً

يبوح للغيم العابر بألم غاب في الليلُ ورسمت في دفاتر المشوار ظلي الذي ما زال يعانقُ نفسي وجعاً ، يوارى سوأت ربيع عربي وما فعلوه في وطن بعيد يعاني الخوف والدمار ..

استأنفت الرحلة الشهرية ، هي عمل من الأعمال الجماعية، كل شهر يتجهز أفراد المسجد الواحد بعدما يتم الاتفاق عليه في الشوري الداخلية ، يكون كلٌّ فرد مجهزاً مادياً ، ومعنوياً، مادياً أن يتكفل بالانفاق على نفسه ولا ينفق أحدٌ علي الآخر ، أما معنوياً

لا ينبغي أن تشعر الأسرة بضيق أو ما شابه أثناء المدة الشهرية خاصة وإن كان الفرد له والدان بحاجة إلي رعايته ، لم اتخلف عن الرحلات الشهرية ، التي كانت تجوب القري المجاورة لمدينتي، ونعاود الكرة عليها كلُّ عدة أشهر .

لم تكن النساء أقل حظا ونصيبا من الرجال في مضمار الرحلات، بل لهن ترتيبٌ خاص بالرحلة الشهرية وإقامة الأعمال الإيمانية في المنزل ، كالمحافظة علي حلقة التعليم اليومية ، مع كثرة الزيارات إلي منزلنا وكثرة رحلاتي ، باتت أمي تشجعني كثيراً على إقامة حلقة تعليم يومية بعد صلاة العشاء إلي أن انتهينا من قراءة كتاب (رياض الصالحين) مرتين ونصف ، وهذا ما استدعي الحاجة إلي تضافر جهود الأسرة والتعاون فيما بينها، اعتاد أبي رحمة الله الجلوس في حلقة التعليم .

تسمي الرحلات النسائية بـ (المستورات) ، وعددها لا يقل عن خمس نساء ومعهن (الزوج أو الوالد) ولا تكون إلا كل شهرين علي وجه التقريب ، تقيم النساء في بيت إحداهن والرجال في المسجد ، وبعد كل أداء لفريضة الصلاة يتوجه من خلف الستار من يتحدث ، كإلقاء درس على النساء .

عند العودة يتناقش الأزواج فيما بينهما عن هذه المدة التي قاما بها لمدة ثلاثة أيام ، فقط في الأنهماك في الأعمال الإيمانية واعتبار أن الطعام والتجمع عليه وتناوله بالطريقة السليمة عمل من الأعمال الإيمانية ، والعمل الفردي ناقص دائما ، لكني عرفت لماذا ..؟!

ظللت طريد زوار الفجر .. اتخذت من الرحلات في المدن والقرى والنجوع ملجأً للهروب في البلاد شمالاً ، وجنوباً ، شرقاً، وغرباً ، لا حيلة أمامي سوي الهروب ... !

●●●

obeikan.com

obeikan.com

الكمائن الحديثة

وجدت كثيراً من المؤلفات فوق سطح بيتنا أتت مع الأشياء الكثيرة التي نقلت إلي البيت الجديد ، وهو عبارة عن أربعة طوابق، بدأت أجمع من الأجولة ما تستريح له نفسي في القراءة ، وظللت هكذا إلي أن أصبحت غرفة مكتب خاصة.

تفتح الباب فتجد تحت الشباك المواجه للباب كرسيين ومنضدة، ومكتبا ملاصقا للحائط ، بحيث إذا جلست يكون ورائي علي بعد ثلاثة أمتار كاملة وبعرض أربعة أمتار ، تحتوي علي خمسة وعشرين رفاً غير الأدراج الجانبية ، وكانت هذه المكتبة من تضحيات أمي إذ تكلفت ألفاً إلا عشر من الجنيهات ، أقول إذا جلست علي المكتب قبالة الحائط تكون المكتبة والشباك والكرسيان خلفي تماماً وعن يميني شباك منفرد يطل علي منور ترابي قد ينبت فيه من آن لآخر بعض الزهور كلما اعتنيت به .

كانت المكتبة قد اختلطت فيها كتب والدي بالكتب التي قد اقتنيتها بنفسي وليس من عمل خاص وإنما أيضا من المصروف الأسبوعي الذي لم يقصر أبي في إعطائي إياه طوال حياته وبعد مماته أيضا رحمه الله من والدتي .

معـرض الكتـاب بالقاهـرة سـنوياً ، باعـة الكتـب القديمـة علـي الأرصفـة، المراسـلات ، الهدايـا ، الهيئـة العامـة للكتـاب ، دار المخطوطات بالقاهـرة ، مكتبـة غريـب ، مكتبـة الشـرق ، مكتبـة عبادة، مكتبـة الرسـالة ، دار المعـارف ، هـذه بعـض المصـادر التـي أتعبـت فيهـا قدمـي بالسـير وعقلـي بالتفكيـر .

رؤى عروضيـة وأخواتهـا ..كان أول كتـاب اشـتريه في علـم العـروض بسـتة جنيهـات مـن تأليـف د محمـد حماسـة عبـد اللطيـف أسـتاذ النحـو والصـرف في كليـة دار العلـوم جامعـة اقاهـرة ،الـذي يعـد السـلمة الأولـي في شـرح المصطلـح العروضـي و تبسـيطه وتقديمه إلـي جمعيـة " الفنـون والآداب " في دورتهـا الأولـي ، التـي لـم أفـز فيهـا ولـم أدع إلـي حفـل توزيـع جوائزهـا علـي الأقـل ؟! ولا أغفـل كتـب العـروض للأخفـش ، والعـروض لأبـن القطـاع ، والخطيـب التبريـزي والأربالـي، وأحمـد مسـتجير وغيرهـم ممـن تعلمـت علـي مؤلفاتهـم في موسـيقي الشـعر ، هـذا العلـم الـذي يعـد مـن أصعـب علـوم اللغـة العربيـة .

لـم يجذبنـي لـه سـوي حبـي للشـعر ، ولـم أتعمـق فيـه إلا مضطراً، يحتـاج متعلمـه إلـي أعمـال أكثـر مـن حاسـة مـن حـواس العقل.

يتحول البيت الشعري إلي حروف مسموعة فقط و أشكال لها مدلول خاص بالحروف و تتحول الأشكال إلي وحدة نغمية متعارف عليها في علم العروض و يكتشف من التفعيلة إلي أي من البحور ينتمي هذا البيت .

ومصطلحات علم العروض قديم قدم الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي سنة ١١٠ م ، وكثرة هذه المصطلحات هي السبب الأول في إعدادي " للإحياء " وهو باختصار حشد المصطلحات وشرحها الواحد تلو الأخر . لم يُهيج قدمي للسعي في التحصيل والبحث ولم يلهب حماسة روحي سوي اهتمام عالم من العلماء برسائلي ، وقد تطورت بعد رسائله هذه كثيراً ، ولم أتعرف عليه إلا من خلال " أصوات النص الشعري لمؤلفه د. يوسف حسن .

ولم انته بالعروض دراسة وبحثاً إلا عندما أحرقت مكتبتي بعد ذلك بوقت طويل .

وفي كتاب " الكمائن الحديثة " ما ورد ذكره ..

- هذا الكتاب من إهداء والدي رحمه الله ولم أفهم منه كلمة إلا عندما تعلمت لغة كتابته والأدوار الشطرنجية ،كان ذلك بعد أربع أو خمس سنوات من إهدائه إليّ بمناسبة نجاحي في السنة الأولي الإعدادية . تلك اللغة لها قديم

ولها حديث ، قديمها :

- أن كل عمود طولي في الرقعة يأخذ رمز القطعة التي احتلها ، فالمربع الأبيض عن يمينك يحتله الرخ (الطابية) فيأخذ هذا العمود الطولي الرمز (ر) والذي يليه يأخذ الرمز (ح) عمود الحصان ، (ف) عمود الفيل ثم (م) عمود المسلك ثم(و) عمود الوزير .

استطعت فك رموز اللغة وقرأت شفرتها ودلالة القطع ناحية الملك يضاف لها الرمز (م) والقطع ناحية الوزير يضاف لها الرمز (و) والبيادق (العساكر) تأخذ الرمز (ب) فإذا تحرك البيدق الذي أمام الملك الأبيض حركتان في أول الدور فتكتب (ب٤م) أي البيدق الذي في عمود الملك تحرك إلي السطر الرابع. أما طريقة كتابة الدور الشطرنجي الحديث فهي أسطر وتعتمد علي الأحداثيات . لكل قطعة رمزها المعروف الملك (م) الوزير (و) الفيل (ف) الحصان (ح) الرخ / الطابية (ر) والبيدق باسم العمود ، فمثلاً البيدق الذي علي يمين الرقعة أمام الرخ رمزه (ح) الذي يليه رمز (ز) ، الخ ، ولا يختلط (ح) الحصان بـ (ح) البيدق إذ أن الأول يكتب كحرف مستقل والثاني يكتب كحرف " مشبوك " أو في وسط الحروف . وإذا أراد اللاعب تحريك البيدق الذي أمام الملك – إلي الأمام مربعين فيكتب (هـ٤) .

ولأن كتب الشطرنج باللغة العربية قليلة جداً كان الالتجاء للكتاب الإنجليزي أفضل في ثرائه الأدوار وأكثر اتقانا في الطباعة، ولا أنكر أن بعضاً من كتب الشطرنج قد طرحت في الأسواق نشرت في مشروع مكتبة الأسرة .

الحياة دور شطرنج كبير نتبادل فيها الأدوار ، ليس هنالك ثمة أشكال في فهم الأدوار المكتوبة باللغة الإنجليزية أو الروسية مثلاً في ذلك لأن رموز القطع في اللغات عامة متعارف عليها .

ظل كتاب " الكمائن الحديثة " دون أستخدام يذكر إلي أن حصلت علي المركز الأول في كلية الحقوق عام ١٩٩١م والمركز الثاني علي مستوي الجامعة في نفس العام ، لم أهجر الشطرنج وأصحابه إلا بعد اقتنائي لجهاز كمبيوتر خاص فقط باللعبة ، ثم تم إلغاء اللعبة تماما فور اقترابي من المسجد وترك الأمور الدنيوية وفي الشطرنج قد ألجأ مضطرا للتضحية بالبيدق أو الحصان أو الفيل لضمان الاستمرار في الدور أطول فترة ممكنة ، فربما يموت ملك الخصم أو التبييت لإبعاد الملك عن مركز الأحداث الساخنة، واستبدال موقعه بالطابية ... متنازلا لأحد حاشيته ، مستمرا في اللعب بعيداً عن التهديد المباشر. وتقوم «الطابية» بالهجوم عوضاً عنه، وتصفية الخصوم. وفي نهاية الدور ينتصر الملك .

مشـكلتي أنـي أحيانـاً مـن الكبـت الجنسـي أفكـر في أقـرب النـاس إلـى مثل خالتـي وعمتـي وبنـات عـم الوالـدة وبناتهـم وجيرانـي المتزوجـات وأنـا أعـرف أن ذلـك خطـأ ، وحـرام شـرعاً ، اشـعر بعـدم ارتيـاح لكـن للأسـف يوسـوس لـي الشـيطان وكثيـراً مـا تلـح علـى هـذه الأفـكار خصوصـاً التفكيـر في خالتـي الأرملـة، أرجوكـم افيدونـي في كيفيـة التحكـم في تفكيـري المحـرم ، تملكتنـي فكـرة الـزواج فـوراً وإلا سـتكون نهايتـي قريبـة لا محالـة ...!!

ظلـت نافـذة الديـك الأخضـر بمثابـة طـوق النجـاة باقامـة علاقات تواصـل غيـر شـرعية مـع النسـاء عبـر الـ Cam لتهـدأ ثورتي الجنسـية المتأججـة في فتـرة الشـباب ، وسـيطرت علـي تفكيـري قبـل أن تتلاشـي تمامـاً جـراء مـا فعلـوه بصعـكات الكهربـاء والتعذيب ..!

●●●

الخط العربي

ما إن رسبت في كلية الحقوق ، لم يعد لي الحق في إكمال دراستي ، ضاعت كل الفرص وتم فصلي منها ، همٌ ، وغمٌ ، وبلاء حتي بدأت مشكلة الحصول على المؤهل العالي تؤرق بيتنا ، من سيكمل مسيرة والدي في المحاماة من الأسرة ؟! ، ومن سيؤول إليه مكتب المحاماة ..؟!

لكن فرصة الألتحاق بكلية أخري أصبحت مواتية ، تقدمت بأوراقي إلي كلية الآداب أملاً في إكمال الدراسة الجامعية في قسم اللغة العربية الذي تمنيت كثيرا منذ حصولي علي الثانوية العامة الإلتحاق به لشغفي الكبير بدراسة الأدب العربي .

ما إن سلمت أوراقي في شئون الطلبة إلا وهاجمتني الخدمة العسكرية إلا أنني حصلت علي الاستثناء من تأدية الخدمة العسكرية لدواع أمنية بسبب لحيتي التي ظلت مصدر ازعاج دائم .

علت الهُتافات وانتفضت البلاد فجأة على إثر خبر انتحار سليمان خاطر ابن أكياد بلدتي الجندي مجند في الجيش يؤدي الخدمة العسكرية وفي يوم ٥ اكتوبر سنة ١٩٨٥ قام عدد من

الصهاينة باختراق الحدود المصرية على الرغم من تحذيراته المتكررة وطلقاته التحذيرية التي اطلقها في الهواء، وظل سليمان خاطر يحذرهم عدم الإقتراب من النقطة الحدودية التي يقف عليها خدمة في جنوب سيناء ، مما دفعه إلى اطلاق النار عليهم ليردي اثنى عشر فرداً ما بين قتيل وجريح بعد اختراقهم الحدود وإهانة العلم المصري .

أتذكر كلماته أثناء محاكمته عسكرياً وتناقلتها الصحف العربية ...:

" أنا لا اخشى الموت ولا أرهبه ..إنه قضاء الله وقدره ولكنني اخشى أن يكون بالحكم الذي سوف يصدر ضدي أثار سيئة على زملائي ، تصيبهم بالخوف وتقتل فيهم وطنيتهم ".

وصدر الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، بعدها بعام قتل داخل مستشفى السجن ، وأعلنت الإذاعة المصرية والصحف إنه انتحر في ظروف غامضة ولاحقاً أصبح ضابط المخابرات المسئول عن القضية عمر سليمان رئيساً لجهاز المخابرات العامة .

أمانه عليك يا قبر مايكون فيك حصى ولا طوب جايلك ولد زين من غدر الزمان معطوب.. حسبى الله ونعم الوكيل ..!!

انتفضت البلاد ثائرة في انتفاضة الأمن المركزي ، وخرج طلاب الجامعات والمدارس ، يتحدون دخان القنابل المسيلة للدموع، وتطايرت الأخبار بعد حصولي علي الاستثناء من الخدمة العسكرية كانت سنة كاملة قد مرت آنذاك ، لم استطع دخول امتحانات الفصل الدراسي الأول أو الفصل الدراسي الثاني لعدم توافر شهادة الخدمة العسكرية ، الطريف في هذا الأمر أن الكلية أجلت الأختبارات استناداً علي ورقة أعطوني إياها في منطقة التجنيد ، هذه الورقة بمثابة تأجيل مؤقت شهر أو شهرين متضمنة عبارة لدواعي أمنية ، بما يعد أعفاءً حقيقياً إلا أن شئون الطلبة بعد مرور فصل كامل من فصول الامتحانات ، طالبوني بورقة التأجيل وما إن قدمتها حتي قال لي الموظف ..:

- التأجيل حتي منتصف الشهر والامتحانات أخر الشهر ، لازم تجيب تأجيل لبقية المدة ، أنت ستكون في نص الامتحانات ، معافي من الجيش وفي النصف الثاني ستكون علي قوة المطلوبين للخدمة العسكرية ".

قلت ..:

- سوف احضر الورقة المطلوبة في منتصف الامتحانات ..!

ورفض الموظف طبقاً للوائح والقوانين ، وعندما اردت استرداد ملفي كاملاً من الكلية يأسا من إكمال الدراسة تماماً طالبوني بدفع رسوم السنة كاملة مع العلم أني لم أدخل امتحانات ولم أذاكر شيئاً وهذه الرسوم لم تدفع إلي الآن ، لم أحصل علي الملف، لكن لماذا كل هذه التفاصيل وأين الخط العربي ..؟! .

كان الملف يحتوي على ورقة شهادة الميلاد الأصلية ، وكانت مدرسة الخط العربي تشترط النسخة الأصلية من شهادة الميلاد .

تقدمت بأوراقي مستسمحا المدير في دخول امتحانات القبول إلي أن أكمل أوراقي .. اشتريت ملف الدخول وتقدمت إلي المدرسة مع وعد المدير العام بدخول اختبارات التأهيل وبعد أيام استراحت نفسي من حالة القلق التي انتابتني وأرقت حياتي.

جاء يوم الاختبار ، مئات الطلاب والطالبات وكثير من الأساتذة في اللجان والساعة شارفت علي الثامنة والنصف مساءً من شهر أغسطس وكان العرق يتصبب علي وجه المدير وهو يرتب لاختبارات التأهيل ، عندما لم أجد اسمي في الكشوف المعلقة علي أبواب الفصول الدراسية ، بحثت عن المدير وما أن وجدته، سألته مستنكراً عن عدم وجود اسمي في الكشوف فزعق زعقة في وجهي قائلاً .. :

- يبقي ورقك ناقص ، يبقي ورقك ناقص . .!!

انسحبت صامتاً عائدا تلاحقني خيباتي ، و في العام الذي يليه ذهبت إلي مدرسة تعليم الخط العربي .

هذه المرة لم يعدنى المدير بشئ ، لكن أصر علي الحصول علي ورقة شهادة الميلاد الأصلية ، مشيت مكتئباً يواجهني القطار القادم بسرعته ،كانت صرخات المدير هذه المرة في ظهري ..:

- حاسب يا استاذ ..يا أستاذ ...!!

أفقت من اكتئابي ناظراً إلي المدير الواقف خلفي بعد مرور القطار محملا إياه مسئولية هذا الحزن والاكتئاب ، وعبرت شريط السكك الحديدية ، مضيتُ أجر خيباتي .. إلي الآن أوراقي المحجوزة في كلية الآداب ، لم أستطع الحصول عليها بسبب الرسوم التي لم أدفعها ، في هذه المدة تعلمت الخط العربي في المنزل علي يد صديق لي تخرج في مدرسة الخطوط العربية،كتبت عدة لوحات بيعت عند محلات البراويز بأسعار زهيدة ، لكن المعني كان أعمقا من الأسعار الزهيدة أو الأسعار الباهظة .

بل وكتبت جزءا كاملاً من القرآن الكريم بالخط الفارسي ، كان ذلك تعويضاً كافياً عن الحرمان من شهادة مدارس الخط العربي .

وذهبت إلي دار المخطوطات العربية بالقاهرة ، استنسخت مخطوطات ابن البواب ومخطوط ابن مقلة في أصول الخط العربي، وشرعت في تحقيقهما ، ودار المخطوطات العربية في شارع عز الدين بن عبد السلام في المهندسين ، والمخطوطة كتاب كأي كتاب ، الفارق إن المخطوط ما زال بقلم صاحبة أو بقلم تلميذ من تلاميذ أحد العلماء في أي علم من العلوم ، وفرصة أن يتحول الكتاب المكتوب بخط اليد إلي كتاب مطبوع علي الكمبيوتر هو المحقق فعمل الأخير متوقف علي نقل وشرح وتحليل المخطوط، واظهاره للناس في كتاب مقروء ، قمت بجزء من التحقيقات للمخطوطات ، ولم يلبث اليأس أن زارني ، فأهديت النسخ الضوئية إلي مدرس من مدرسي الخط العربي لعله ينتفع به .

أن الاصطدام بالجهات الأمنية أمر لابد منه إذا ما تحزب الفرد وانتمى لحزب أو جماعة .

- " قوم ، يا أستاذ ، يالله ، يالله ، يا أستاذ مبروك ، اصحي معانا " .

كانت يداه تنفض أطراف أقدامنا تنفيضاً هو ومن معه، سرعان ما إن خرجنا من باب المسجد إلي أن دخلت عربة (البوكس)، محاطة بأصحاب الشوارب والثياب الثقيلة .

لـم يكـن هنـاك أثـر سـوي نظـرات أهـل القريـة وهـم يودعـون الرحلـة .. سـجلت الأسـماء ، ودخلـت الغرفـة الزرقـاء ، رحلـة مكونـة مـن أحـد عشـر فـرداً ، الـكل مشـغول بقيـام الليـل إلـي أن يـؤذن الفجـر، ثـم وقـع اختيـار المسـئول علـي أحدهـم لقـول الكلمـة المعتـادة بعـد كل صـلاة .. أخذتنـا غفـوة أو سـنة مـن النـوم ، قبيـل الظهـر ، تنشـط الجمـوع بالوضـوء ، وفُتحـت الغرفـة .. كان حظـي في القيـد مـع شـيخ جـاوز السـبعين مـن عمـره .

- وخرجنا من باب المركز إلي البوكس .

مـا زالـت نظـرات أهـل القريـة ، تـودع الرحلـة مـن بعيـد .. توزعـت الرحلـة كُلٌّ إلـي مركـزه الأصلـي ، ثلاثتنـا ، إلـي مركـز مدينتنـا بالزقازيـق ..طلـب منـا صـورة فوتـو غرافيـة ، ذهبنـا إلـي سـتوديو للتصويـر ، مشـينا في شـوارع المدينـة مكبلـين بالأغـلال ، انتهينـا مـن تقـديم الصـور الفوتوغرافيـة .

أودعنـا الحجـز ، كـم وصفـت هـذه الغرفـة برهبتهـا وظلامهـا ، ورائحـة الرطوبـة النفـاذة تخـرج مـن جدرانهـا المتهالكـة ، كـم مـن قلـم خـط عليهـا ، نافذتهـا ، دورة ميـاهها ، واخيـراً سـكانها . . انشـغل صاحبـي بمحادثـة الآخريـن ، وانشـغلت بالتـلاوة ..

نودي علينا من العسكري الواقف على باب الحجز ، اقتاد ثلاثتنا إلي سيارة أجرة مقيدين في الكلبشات ، أمام مبني أمن الدولة ، كانت أولي خطواتنا ، إلي أين .. ؟ إلي مجهول ينتظرنا، أم إلي وراء الشمس كما كنا نسمع من البعض .. !! العلم عند الله.

انتظرنا، طال الانتظار ، دكة الأستقبال لم تكن مشغولة ...!

نودي علينا فرداً فرداً ، وجاء دور كبير السن ، دخل وخرج فرحاً مسروراً ..:

- دول ناس طيبين ياعم ، قاللي ما اعنتش تطلع رحلة تاني بس ، دا كل اللي قاله .

وخرج الشيخ مبروك ، بنفس الكيفية ، قال مغتبطاً ..:

- الله على أولادك يا مصر الجدعان هي دي الرجولة وإلا فلا..ربنا يحرسهم ..!

أمسك يدي ، مفتول العضلات ، كما يقولون ، روحه مرحة ولم نمشي كثيراً سوى بضع خطوات ، طلب أن أخلع النظارة ؟! وعصَّب عيناي ، واقتادني إلي الداخل ..:

- اسمك وسنك وساكن فين ؟

- وائل عز الدين غريب

واعقبه بسؤالٍ ..:

- أنت ملتزم من أمتي.. ؟

خرت الكلمات من فمي ..:

- منذ ولدت والله يا بك ، وليس لي أ ى ميول سياسية .. أنا في حالي كافي خيري شري ..!

بدا متهكماً ساخراً ..:

- وإيه كمان احكي ..؟

- أنا بمشي أقول يا حيطه دراييني .

شخط زاعقاً وعيناه تطق شرراً ..:

- طيب ما تطلعش رحلات تاني يا روح امك ..!

- حاضر يا باشا .

صوت يفتعل الغضب وصرخات على إثر تعذيب ، ومن حولنا أصوات عشوائية ، مراوح وفحيح همس المقصود منه ألا نري ، وألا نسمع بوضوح أيضاً ما يجري في محاولة للتشويش على تركيز نا ..! اقتادني نفس المفتول العضلات ،.عدنا إلي المركز .. تسلمنا البطاقات الشخصية ، لم يبق سوي ثلاثة أيام ونكمل أربعين يوماً، لكنه القدر ..؟!

obeikan.com

في صبيحة اليوم التالي تعالت الأصوات ...:

صوت ١ : ضروري ترجع تكمل الأربعين .

صوت ٢ : أهل القرية وقفوا معنا وطالبوا العمدة بذلك

صوت ٣ : مش هتفرق ، كمل الثلاثة أيام هنا وخلاص

صوت ٤ : مجموعة تروح تطمئن على أهل البلد وأنت تكمل الثلاثة أيام بعدين .

وتعالت الأصوات بين مؤيد ومعارض ... وصاح الديك فينا ..:

- كفاكم فرقة واختلاف يا من اتفقتم دائما علي الاختلافات.!

تحولت الشوري ما بين مؤيد ومعارض ، مؤيد للعودة إلي القرية وطمأنتهم ، ومعارض يري أن الأمر سيان المهم عودتنا نحن سالمون .....

قال المسئول عن الرحلة ..:

- يبقي مجموعة تروح ، ونبقي نكمل الثلاثة أيام كل واحد في مسجده ..!

لم تكن هذه الأحوال لتقال علي الملأ في الشوري الأسبوعية أو الشهرية ، ولكن في شوري خاصة لعدة أسباب ...:

- إنها حالة استثنائية .

- قد تثبط من همم السامعين خاصة الجدد .

الأمر مر وكأنه لم يكن ، لم تكن لنا أيه جوانب تأتي بالسلب علي الرحلة ، بينما الديك الواقف فوق شجرة الكافور العالية يرقبني ...

شرف الرجولة

- توكل علي الله .

قالها مَنْ خلفي وهو يحدث صاحبه ، ولا أعلم لماذا شعرت بأنها موجهة إلي قلبي ، كان رد الفعل هو اختيار عكس ما نويت .

مظروف أحمل فيه أوراق التحاقي بالخدمة العسكرية ، صلبت وسط الدفعة لتلقي أولي إشارات الأمر العسكري .. العسكرية شرف الرجولة ، تمنيت أن أحظى بهذا الشرف ، باغتنى بسؤاله..:

- أنت ، ذقنك طويلة ليه ....؟

- اعتدت على ذلك وكثيراً ما أنساها لكثافتها ، تسبب لى التهابات من كثرة حلاقتها .

-روح احلقها وبعدين ابقي تعال يا روح أمك ..!

التقطني من بين مجموعة كبيرة جالساً أتلقي التعليمات الأولية للألتحاق بالخدمة العسكرية ...

- إذن لا مفر .

- مكتب سيادة المقدم من أين لو سمحت ..؟!

قلتها بارتجاف إلي أن رأيته من الخلف ، متوسط القامة يرتدي ثياباً بيضاء ، لحيته كثة ، لم يكمل الخامسة والعشرين، اطمأننت لرؤيته ، يقف أمام المقدم ، رافضاً أداء الخدمة العسكرية، رافضاً حلق لحيته ...

– استاذ ستحلق اللحية أم لأ.. ؟

– احلقوها ليّ أنتم ... أنا ممكن أدخل الجيش بدون أن احلق اللحية .

– احنا مبنحلقش لحد ، روح احلقها وتعال ، واللي مش عايز يحلق لحيته ييجي يوم السبت .

– اقعدوا في الأنتظار هناك ، واملوا الورق ده ، قالها الجندي المسئول باحترام .

لحي كثيرة ، لأعمار متباينة من محافظات مختلفة ، والسبب واحد .

جلست أكتب التفاصيل الدقيقة في ورق مطبوع ومهيأ لهذه الحالة ، اسماء الأعمام والأخوال ووظائفهم وأعمارهم ...

سلمت أوراق المجموعة (٧٥) ربما يشير ذلك إلي سنة ميلادنا أو إلي الدفعة التي يجب التقدم فيها للخدمة العسكرية .

ولأن دليلنا في الخدمة العسكرية مكلف بتوصيلنا إلي القاهرة، يعلم الإجراءات ، فقد استأجر سيارة ميكروباص يدفع الفرد فيها ذهاباً وإياباً عشرة جنيهات .

وصلنا إلي مدينة نصر ، مبني واسع ، أسواره عالية مزين بالأشجار والورود ، لم تكن هنالك لافتات للتعرف علي هوية هذا المبني .

دخلنا إلي ساحة الأنتظار ،حان آذان الظهر .. انتهينا من صلاتنا ، وتناثرت الحوارات في المعسكر ..

- **صوت ١ :** أصل أنا متجوز من إيطالية .
- **صوت ٢ :** أنت متخيل ممكن يعملوا إيه ؟
- **صوت ٣ :** خليكوا في ذكر الله يا جماعة .
- **صوت ٤ :** ياتري هنروح النهاردة ..؟!

- **صوت ٥** ....

مازلت ممسكاً بمصحفي الأخضر ، ربما كنت أخفي به توتري أو وحدتي ، أو ربما كنت اقرأ ، منذ التاسعة إلي قبيل الثالثة مساء.

- مين اللي بطاقته مش معاه ده ييجي هنا ..! .

تقدمت نحوه أمام الموجودين ، ربما كنت خائفاً ، لم اتبين فقدان البطاقة الشخصية إلا عند وصولي أمام هذه البوابة ...

- أيوه يا افندم .

- أنت خايف من إيه ، فين البطاقة ..؟

- كانت معايا الصبح ومعرفش وقعت مني فين ، احتمال وقعت في العربية بس هي مشيت وملحقتش أدور فيها .

- خير يا بني متخافش ، مفيش حاجة ، أتفضل أنت .

- هنأجل النهارده وبعد بكره تكونوا عندنا من بدري اتفضلوا كلكوا .

صباح اليوم التالي ، في موقف الميكروباص ..سألت علي السائق سعيد أبو السعد من أخذنا إلي مصر أمس ..

- روح هناك ، الريس عربي

- ياريس باسأل عن الأسطي سعيد

- نعم هو أنت اللي ضاعت بطاقتك هتلاقيها معه ونادي علي سائق في الموقف شارحاً الموضوع ..

- آه البطاقة اهي لاقيتها في العربية امبارح .. خذ

لم اتفوه بكلمة وسجدت سجدة الشكر حيال هذا الموقف ومضيت منتظراً إلي الغد .

الجميع في الأنتظار ، وما زالت فكرة الصمت المطبق تسيطر علي حواسي ، فكرة ألا تخرج من عالمك المملوء بالأشخاص والمشاهد وشتي أنواع الذكري .

فلان وفلان ، في مبني مدينة نصر وأشخاص أنهوا أول مقابلة ..

صوت ١: هما سألوك قالولك ايه ..؟

صوت ٢ : مقالش حاجة ثانية

صوت ٣ : بس ماتتسرعش في الإجابة

صوت ٤ : .....

لم يكن هنالك في وجوههم أي أثر لفرح أو لغضب أو لحزن، صعدت مع مجموعتي ، إلي غرفة انتظار أخري ، وكانت نصف المجموعة في غرفة مجاورة ...:

- " ايه اللي انتوا عاملينه ده – حد يقعد علي الأرض كده ما انتو واخدين علي الحزام في أمن الدولة ، قوم انت وهو "

قالها أحد المسئولين في هذا المبني إلي أصحاب الغرفة المجاورة فران صمت وسكون علي الغرفتين والممر سوي وقع أقدام ينتهي صوتها عند غلق باب ...

- في غرفتي ..

- " مالك أنت حزين ليه ؟ ، شايفك من الصبح قاعد في الذكر ماشاء الله ، هو أنت تعبت من القعدة ، والله إيه..؟

- أه تعبت من القعدة ..!

لم أجد رداً سوي ذلك ، أخشي أن تكون كلماتي لها مغزي تضعني في موقف محرج ، وأنا لا أحب ذلك ، فآثرت الكلمات القليلة .. نودي علي اسمي ...:

- وائل عز لدين غريب

- أفندم

انطلقت في تلقائية ، متأهباً لتلك اللحظة .. داخل الغرفة نافذة كبيرة بعرض الحائط ، تطل علي شارع جانبي من شوارع مدينة نصر ، مكتب بني اللون يأخذ ثلث الجانب الأيسر من الغرفة كرسي في مواجهة المكتب علي يمين الداخل .

- اتفضل

- اسمك ، سنك ، عنوانك ، مهنتك

- كانت الإجابات مطابقة لما في المستندات التي أمامه

- أنت ملتزم من أمتي ..؟

- من طفولتي باصلي

- أنت بقي بتعمل رحلات واللا بتحب تقرأ كتب وتسمع شرايط .

- آه بعمل رحلات في الشهر ثلاثة أيام وأسجل خطب في شرايط الكاسيت وعظ وإرشاد وتذكير بعذاب القبر ونعيمة .

- وفي السنة أربعون يوم ، ولو في فرصة لأربعة شهور يتعلمها، صح ..؟!

- صح يا أفندم .

- رحت فين بقي ..؟!

- لفيت حول المدينة في القري

- رحت الفيوم

- آه

- طب ما تقول

- مارحتش غير القري حوالينا ، والفيوم ، ومركز الدعوة في طموه

- طب وإيه حكاية الجيش بقي.. ؟

- مفيش اعتراض علي الجيش ، بس أنا مقدرش أحلق لحيتي، عشان الجيش ، ممكن أدخل الجيش بس باللحية ، وفي الحقيقة الشعر ليه قيمة في الدين ، المفروض المسلم يحترمها، أما الجيش لن تفرق أن أكون بشوية شعر أو من غيرهم ..!

- طب انتو بتعملوا إيه في الرحلات دي ..؟

- الرحلات دي ترويح عن النفس – نوع من التغيير – بناكل ونشرب وبنام ونؤدي الفرائض لمدة قصيرة بالنسبة لباقي الشهر يعني لو كنت مشغول الثلاثين يوم بأخد ثلاثة أيام

إجازة ، وبعدين الموضوع ده في العالم كله مش في مصر بس ، كثير ناس تيجي عندنا هنا وحتي أنا أفتكر إن لواء من مصر الجديدة كنت ماشي معاه في جولة وطبعا أنت عارف بقي يعني إيه جولة – وقاللي أنا كنت معارض الموضوع ده بس لما طلعت علي المعاش فكرت بجد ، لقيته موضوع مفيد، وغيره ممثلين بيعملوا رحلات كثير حتي كان من كان يوم عندنا في المسجد ..(وجدي العربي) مش بقول كده علشان أخرج من الموقف اللي أنا فيه ، لكن كل إنسان فعلاً محتاج لإجازة إيمانية ..!

- طيب اتفضل ..!

هادئاً ، واثقاً ، مبتسماً ، كانت ردود أفعال وجهه ، وأزال الخوف من قلبي عندما بسط المسألة لحوار وليست كاستجواب مفعم بالغضب أو الاستهزاء ، عدت إلي مكان الانتظار في انتظار الفوج قبل الأخير لكي نرحل .. مؤكداً ..:

- نشوفك بعد ذلك بأسبوعين ..

- أنت يا حسن كنا عاوزين نتكلم شوية

- نبدأ ياباشا

- اتفضل .

- اسمك ، سنك ، مهنتك

أسفل المنزل كنت جالساً في المكتبة بين يدي مصحف الملك فهد الأخضر اللون من القطع الكبير ، دخلوا عليّ ، فعرفت القصد وقمت لأسلم عليهم بيدي ، إذ خشيت إن يكون استمراري في مجلس القراءة وعدم القيام يكون له بعدٌ إيمانيٌ ، أن يقولوا : مابيسلمش علينا ليه ؟ هو احنا إيه .....ألخ

- احسن تزعلوا واللا حاجة

- طيب هنديلك الورقة دي وإسلام باشا مستنيك الساعة التاسعة ليلاً ، أوعي تتأخر..!

- أعمل إيه .. ؟

كان سؤالي موجهاً إلي مسئول المسجد ، قصصت عليه القصة، لم يكن رده مخالفاً لتوقعاتي وأوصاني ...:

- لا تنسي ذكر الله

توجهت إلي المقابلة في مبني مباحث أمن الدولة ، أقدم رجل وأُخر الأخري ، أفكر ، وأتساءل ، واجيب ، أرسم مشاهداً في مخيلتي ، ربما كي لا أنزعج من حدوث شئ قد حسبت له مقدما..!

- أنا جيت ، علشان إسلام باشا

قدمت الورقة .. رد موظف الاستقبال بعد فحص البيانات ..:

- اتفضل في الحجرة دي ..!

غرفة متواضعة فيها صور لزعماء جمهورية مصر العربية، أحمد عرابي ، وجمال عبد الناصر ، وأنور السادات ، وحسني مبارك وانتريه أسود من الجلد المنتفخ ، تجلس عليه فيأخذك إلي الأسفل ، وبحركة تلقائية تضع يدك ورأسك موضع الأرتفاق .

لم تكن الغرفة خالية فيها ثلاثة أشخاص ، الأول يجلس وحده بثياب قروية والثاني والثالث من ذوي اربطة العنق ، لم يتجاوزا العقد الثالث ، يتحدثان عن الجامعة والأبحاث ، عدت إلي ذاكرتي، ربما لا يعرف مكاني الآن سوي المسئول ، ولكن اشعر بالتفرد وليس الزهو ، فهاهي حياتي تمر ، دقائق لم أكن أظن أني سوف أعيشها ، أن لا يعرف مكانك أحد ، وأن لا يتوقع أحد ممن تعرف تواجدك في هذا المكان .. أشار لي بالجلوس ...:

- اتفضل .

- غرفة ذات مكتبين متجاورين ، وكراسي جلدية انيقة علي اليسار حيث تجلس إذا جلست في مواجهة من يجلس علي المكتب، رأيت شاباً لم يتجاوز عمره الثلاثين أسمر البشرة .

لم اجلس سوي دقيقة ، دخل علينا صديق الباشا ، فأمرني بالعودة إلي نفس الغرفة للأنتظار مرة أخري ..عدت ثانية ، لم يكن في الحسبان أن أعود إلي هذه الغرفة ، رأيت في أثناء توجهي للغرفة مسجداً انيقاً ، فكرت في الصلاة فيه ، ربما استجمع قواي لكن قدما ي قادتني حيث بدأت .

مرت دقائق وطلبني مرة أخري ..جلست فى مواجهته ..:

- يا تري مين أول واحد خلاك تطلع رحلة ..؟

كان كتاب ، أيوه كتاب اسمه "دعوة إصلاح لا تعسف ولا هدم " لواحد مش فاكر اسمه ، قريت الكتاب ورحت المسجد .

- وانت بتطلع رحلات مع مين الشيخ إبراهيم واللا الشيخ راضي .بطلع معاهم كلهم ..؟!

- أنت بتشتغل إيه ..؟

- ما بشتغلش ، بقعد في المكتبة بتاعة الأسرة ببيع أدوات مدرسية وكتب تراث وكمان بعالج من السحر .

علي فكرة أنت لا شيخ ولا حاجة أنت مستهتر ، تسيب كليتك، وتسيب بيتك وتفكيرك ده معناه إنك متطرف ، إرهابي ..

كلمات ذكرتني بكلمات رفيق قاطرة الأقدام ، لم يكن وجهي يحمل سماعة أذن ، سوي ملامح الاستفهام والتعجب التي بدت واضحة على وجهه ، قلت لنفسي : هنالك علم دلالة الألفاظ ، ومن بعض مواده الاشتراك في اللفظ والاختلاف في المعني وهو قريب من " Special difficult " في اللغة الإنجليزية

.....

- متفكرش في موضوع الرحلات دي تاني ، وانتبه لمستقبلك، اتفضل ..!

.....

- استني ، إيه رأيك في اللي عاوز يروح يجاهد في العراق الأول نجاهد نفوسنا ونتغلب عليها يا باشا ..!

- يعني مش المفروض تساعد إخوانك في العراق .

- آه المفروض بالدعاء والبكاء على دماء الضحايا والأبرياء .

●●●

آه يا وجعي على وطني ، صرت بقعة دمار على الخريطة هيئت لحروب ودمار ، هجرتك شمس الحرية ، ورائحة الدماء

لطخت السحب بدخان البارود ، تحول عشقك لاغتصاب أحلامنا الوردية ، ورؤوس الأطفال تُقطع في الشوارع والحارات ، تدميرٌ وتهجيرٌ واسر واعتقالات للثوار.. قالت لي فاطمة صاحبة نافذة حنين اللاذقية في رسالتها عبر FaceBook باكية على ما يجرى في سوريا ، وقد أضناها وجع الحزن على تمزيق الأوطان قائلة ..:

- " طفلتي الليلة فزعت من صوت قوي صدر بسبب وقوع بعض الأغراض في البيت .. تقول ماما فكرتها صاروخ بس شو بهم اتعودنا .. هززت رأسي تعودنا .. نعم تعودنا صوت انفجار الصواريخ ، تعودنا صوت الثكالى والأيامى ، تعودنا .. صراخ الجائعين والمكلومين ..تعودنا أن نرى كيف يكتب المثقفون من بلاد شتى تذمرهم عن الهاربين من الدمار تعودنا .. سبنا ، واهانتنا ممن كانوا أمس أعز الأصحاب ، تعودنا.. أن لايثق أحد منا بالآخر، تعودنا .. وعدنا إلى زمن الجاهلية فطب نفسا يا أيها الشيطان افعل ما تشاء فالبشر جميعا مهيئون للمعاصي ..وأمريكا تتغني بالحرية وحماية الضعفاء ، والعراق الثكلي موجات من فرقة ودمار وصراعات بين السنة وشيعة والأكراد ..دمروك يا وطني ..! "

يا اااه ..!! أوقعونا في الفوضي الخلاقة ، وخلقوا فينا الفُرقة والنزاعات ووقعنا في فخ الفوضي .. علت صيحات أمل دنقل تصرخ في الميدان ..

(المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال " لا " في وجه من قالوا " نعم "

من علّم الإنسان تمزيق العدم

من قال " لا " .. فلم يمت

وظلَّ روحا أبديّة الألم ..!)

أثناء تواجدي في المسجد بين المغرب والعشاء ، ترنحت من الدوار أحسست بدوخة ، بدت الأرض تميل بي ، فقدت القدرة على الحركة ترهلت خطواتي ، ورحت اهزي بكلامات متلعثمة ثقيلة علي لساني ، لا أعي ما اقول ، لغرتمات مبعثرة الحروف مشتت الفكر ، فاقدا القدرة على إدراك ما يجري حولي ، غامت الأشياء والكائنات ، بلا إرادة انجذبت للأرض بفعل الجاذبية وراودني ذلك الكائن الخرافي الساكن داخلي ، قهقهة فاغرا فاه التي تتطاير منها شظايا نيران .. بدا البركان يقذف بحمم من كلمات فاح منها رائحة نجاسه دورة المياة التي سقطت بها ، أخافني قبحه وقرناه يصدران اشارت لمخي مباشرة عطلت تفكيري وعدم الوعي بما يدور حولي ، غامت الدنيا واستسلمت مستلب الإرادة والإدراك واغمضت عيناي كرها واجبرت على الوقوع فوق الأرض ، تلتقط أذناي غمغمات وهتافات الضوضاء .. الشعب يريد .... .. لكن

عندما ارد هو نفذ ما يفعله بي وأسقطني في هوة سحيقة وضحك كثيرا فأصم سمعي وعيناه تشعان بريقا مرعبا اوقعني في بئر سحيق ،وغبت في الحياة البعيدة ...

في مسجد من المساجد التي علي الطريق بين القاهرة والفيوم افاقوني من حالة الاغماء التي اصابتني ، غسلوني بالماء البارد واستيقظت حواس الإدارك عندي ، استفقت من غفلة لا أعرف كم من الوقت استغرقت ، توقف الزمن عند سقوطي في دورة المياة ، استظلتني الطمأنينة بالتوضأ وتجرعت شربة ماء من الثلج والبرد محلاة بماء الورد من قلة فوق النافذة البحرية ، تنبهت علي نحيب شاب يجلس في محراب القبلة باكيا ، تقدمت منه ...:

- ازيك يا حبيب ، أنت عارف ليه بقولك يا حبيب ، علشان النبي قال : (متي ألتقي أحبائي) انت مشوفتش النبي ولا حتي في المنام .. ؟

- شفته في المنام ، كان أبويا بيضربني لو اتأخرت بره ، فنمت بره البيت ، فلقيت الرسول – صلي الله عليه وسلم – بيمسح علي دماغي ، وبيقولي اطمن و متخافش ممكن تسمح لي امسح علي راسك زي ما عمل النبي صلي الله عليه وسلم ..؟

- اتفضل .

وفي نفس المكان الذي مرت عليه يد الرسول " صلي الله عليه وسلم – حسب قوله – مررت يدي ، واعتبرتها فرصة من الفرص الغالية اتبارك به .

تذكرت ما قرأته في توراة العهد القديم عن شمشون الجبار بطل من أبطال بنى إسرائيل الذي اشتهر بقوته الهائلة .وحبيبته دليلة الفتاة الفلسطينية نبيلة من نبلاء القوم ودليلة معنى اسمها مشتق من جذر الاسم (دلال) في حين يدعي مفسروا التوراة بأن الاسم يعني "ذليلة" وهي التي أذلته وأوقعته في شركها .

وقد تمكنت من القضاء عليه وقصت شعره الذي يمثل سر قوته فنفذ أول عملية انتحارية مدونة في التاريخ بتدمير المعبد على رؤوس المتواجدين فيه.

ورد في الكتاب المقدس إن والدة شمشون أخذت قبل مولده عهدا على نفسها أن تجعله نذرا وتقوم بتربيته تربية دينية فمنعته من شرب الخمر، وأكل الطعام المحرم ، وعدم حلاقة شعر رأسه . وقع شمشون في حب امرأة أُجبرت على الزواج بغيره، فأشعل النار في حقول أهلها، وعندما سلمه العبرانيون لينال جزاءه استطاع أن يتخلص من قيوده وقتل ألفاً من الرجال .. حاول الناس فيما بعد القبض عليه في غزة بإغلاق مداخل المدينة لكنه حطم الأبواب وحملها معه بعيدا.

ربما استعادت ذاكرتي هذه القصة مع تكثيف العدو الإسرائيلي غاراته علي غزة وسقوط آلاف الضحايا من الأطفال والعواجيز والنساء ، والقادة العرب منشغلين بنزواتهم ، آهٍ من وجع البلادة وموت المروءة ونخوة العروبة .

بحثت في Googel عن القصة .. تقول التوراة .." جاء سقوط شمشون بعد أن وقع في حب دليلة. عندما عرف أعداؤه حبه لدليلة فطلبوا منها معرفة سر قوته حتى عرفت أنها تكمن في شَعرِه. وتمكنت من حلاقة شعره أثناء نومه بطلب منهم، ثم أخذته بسهولة وفقأت عينيه، وأُخِذ للعمل خادمًا .. بينما كان المعبد ممتلئًا بالناس أُدْخِل شمشون لكي يتسلى به الحشد، لكن شعره قد نما وطال ، وبعد صلاة وتوبة إلى الله عادت له قوته مرة أخرى فقبض على أحد الأعمدة التي تسند سقف المعبد وهدم المبنى بعدما صاح صيحته المشهورة.. :

" علىّ و على أعدائى يا رب»

فقتل نفسه والآلاف من أعدائه ... ..

●●●

كثرت الحكايات التي تتردد في جنبات المساجد عن المسيحين الذين أسلموا ، اشتقت إلي هذه الأسئلة ، ذات مساء ، دخل على المكتبة رجل يدعي ميلاد ..

- انا عاوز فلوس يا بيه أصل ..

هـدأت مـن روعـه بابتسـامة اخفـت أمـارات الفـزع مـن وجهـه بطمأنينـة أكدتهـا بندائـي علـي العامـل ..:

- اقعد طيب ، اعمل شاي يا محمد .

- علـي فكـرة أنـا مسـيحي وعـاوز أعلـن إسـلامي يـا شـيخ ، وفي رؤيـة بيجيلـي فيهـا راجـل أبيـض ومعـاه سـبحة منـورة وبعديـن أنـا اتعـرض علـي عشـرة آلاف جنيـه علشـان مـا اسـلمش لكـن رفضـت ، وخايـف علـي أولادي ومراتـي وأنـا سـاكن في قريـة ..!

قلت محاولا طمأنته ...:

- كل اللـي أقـدر اقدمـه لـك العلـم ، يعنـي أعلمـك ازاي تدخـل الديـن ، وازاي تتوضـأ وتنطـق الشـهادتين .

- تعال معايا المسجد دلوقتي

- مشينا قليلا في اتجاه المسجد قال ..:

- لا لا مرة ثانية ، أنا مش مستعد لكن ...

- طيب إيه رايك تعالي نروح مسجد الرؤى وهنتحل هناك..

في أثناء دخوله وخروجه ، لم أعِ ماذا يحدث في داخلي فقد دعوت في صلاة العصر إن يسلم أحد علي يدي وفور انتهائي من أذكار ختام الصلاة يحدث ذلك ؟

- ثم ماذا أفعل مع شخص يريد الإسلام ..؟

- كيف أشكر الله علي هذه النعم .. ؟وأي توفيق هذا أفتح الراديو علي إذاعة القرآن الكريم فأجد الشيخ يقرأ سورة مريم من بدايتها .. نروح المحافظة نعملك حماية ، وبعدين تمارس عملك بشكل عادي ، وتمارس حياتك في بيتك بشكل عادي وتصلي ونعلمك ودا كل الي نقدر نقدمه ، أما فلوس فمبنديش فلوس .

- كانت هذه كلمات ، شيخ اسلم علي يديه الكثير والكثير داخل وخارج البلاد .

- عدت إلي البيت متذكراً ، دعائي ..

- «يارب خلي حد يسلم علي ايدي المتوضأ ..»

- اثناء جولة خارج المسجد ، في قرية من القري الواقعة بين القاهرة والفيوم ، قابلت رجلاً مسناً يبلغ التسعين من عمره وبجواره امرأتان ..:

- ياست الراجل ده متوضي ولا لأ ..؟

- يجلس فوق بئر المجاري ..:

- ادينا مشطفينه

- طب قومي هاتي شوية ميه .

- وتوضأ الرجل ، صلي ، ربما لم يعِ شيئاً مما حدث حوله لكنه ترك ابتسامة ، علت وجهه وكأنه تذكر شيئا قديما كان يحدث .

●●●

obeikan.com

obeikan.com

يا مسافر وحدك

ألح الزواج علي إلحاحاً مؤثراً بالسلب ، إيمانياً ونفسياً ، وكنت فى شوق لمضاجعة امرأة ، تحسست قضيبي واستمنيت ، تهت فى غيابة اللذة ، تنبهت ، قمت مسرعاً إلى دورة المياه أفرغ شهوتي على المرأة التي تسكن قاعدة الحمام ، كان أخي الصغير قد استدرج في دائرة الإدمان ، وكان لا يتورع عن ضربي بهراوة أو سكين أو حزام وكثيراً ما جرحت أمي بسبب ذلك ، كثيراً ما اتصلنا سراً بالمستشفي الخاص ، حتي يأتوا بالرجال الاشداء للتمكن من الإمساك به وإجباره علي طاعة مسئول بعثة مستشفي الإدمان ، تسربت الأموال فتارة عند وجوده يبذر ويسحب على راحته ولا يوجد من يتصدى إليه ، فأبي مريض ، وأمي المسنة لا تستطيع مواجهته ، وأختي المقيمة معنا في البيت المكون من أربع طوابق مشغولة بعملها في البريد ولا تستطيع التاثير عليه مطلقا، إلا أنها كانت كثيراً ما يساعدها زوجها ذو الرتبة العالية في الشرطة بالإسراع باحضار أفراد من المستشفي ليأخذوه ..

- أنت فين يا علي ، ممكن تدخل الحجرة .

كلمات قليلة تخرج في سكون الليل أو في هدوء النهار من رجل طويل البدن يتحه نحو غرفة أخي الخاصة ، يفتح الباب ،

ولا تعرف سر الهدوء ، الذي يهبط علي أخي فور رؤيته لهؤلاء الرجال، بعد الضرب والتكسير يصبح كأنه قطا مدللا ، يخرجونه إلي السيارة الخاصة وتبدأ رحلاتي وأمي كل اسبوع او كل عشرة أيام أو كل خمسة عشر يوما إلي المصحة وفي أخر مرة كانت المصحة التي أصل إليها عن طريق ركوب قطار شبين القناطر ومنها إلي قطارّ الخانكة " وبعدها أستقل سيارة ميكروباص صغيرة ، تستغرق الرحلة ساعتين ونصف الساعة حتي الوصول إلي الهدف وقطعا كانت المقابلات والمشاهد ات .

الزواج أضحي أملاً صعباً في ظل الموارد المالية المتسربة دائما، ثم أن طريقة الحياة الجديدة ، جعلتني كالمسافر أو كالذي علي سفر لا ينقطع ، في ترحال مستمر ، حاولت مع أغنياء الحي وأغنياء المسجد ، مضطراً ، ولم يمنعنى الحياء من السؤال بعد الحاح نفسي الشديد في ضرورة الزواج ، اتقاءً لممارسة العادة السرية التي أثرت على قدراتي الجنسية أثناء ممارسته مع"اعتدال" جارتنا وصرت سريع القذف فأصابني القلق ولابد من ممارسة الجنس في الحلال حتي أخضع تفسي بتجربة حقيقية أكون فيها غير مضطرب نفسيا ، ربما أصبح طبيعيا واستغرق وقتا كافيا يعطيني متعة اللذة ونشوة الرغبة كما أشاهدها مع الأصدقاء في أفلام الـ Borno أو كما نطلق عليها أفلام ثقافية ، أي تُعلمنا

ثقافة الجنس التي يستحي منها الجميع على الرغم من أهميته في حياتنا ودائما نتحدث عنه على استحياء أو في الخفاء ، الكل رفض فكرة مساعدتي علي الزواج ، ولم أتأثر بشدة سلبا إلا من مسئول مسجد الرؤي ومسئول مسجد النور فكلاهما يعتمر سنوياً وهناك قاعدة في الإسلام وكثيرٌ من القصص التي يحتج بها ، تؤكد تقديم الأولي وبالفعل فإن الأولي بالنسبة لهم القيام بالعمرة وليس تزويجي والحفاظ علي درجة عملي معهم .

اضطرت أمي للأقتراض وتزوجت قبل موت والدي بثلاثة عشر يوما من زواجي ، استمرت الحياة مملة رتيبة لا تبشر بخير وفرصة ايجاد عمل يناسب كوني لم أكمل دراستي في كلية الحقوق، صار من المستحيلات ايجاد فرصة ، لكن السؤال لماذا يذكرني غياب والدي الأبدي هذه المرة بغيابه الجزئي في المرة الأولي في فترة علاجه ، وهل سأشعر بغياب الرقابة – الرقابة الأولي كانت في خسارة الكلية ، والثانية ضياع الأحلام في الزواج بمن أحببتها في الكلية ..!!!

شهور مرت على زواجي شعرت بالطمأنينة كلما مارست الجنس واضعا بذوري في رحم الحلال ، إلا أن أثر العادة اللعينة حد من قدرتي فصرت لا أقوي إلا علي القيام بالواجب المعتاد كل خميس ، ربما لم تفصح وجدان عن خيبة أملها في لكن انكسار

نظراتها تؤلمني وأحس بوجعٍ دفين يؤرقني ، لكن فحولتي استطاعت أن تهبها المولود الذي ينام في بطنها ، مما غفر لي عجزي عن اشباع رغبتها ، وكثيرا ما استعنت بالأصدقاء بالوصفات البلدية لتطويل المدة ، وأعطاني شيخي حبة زرقاء في غلاف مكتوب بالإنجليزية (Vige) جعلتني منتصبا طوال الليل وقدرة فائقة يمكن معها مضاجعة نساء العالم إلا أن " وجدان " نامت من التعب وتركتني اجتر أحزاني واستمني علي صورة مارلين مونرو التي أطلت من شاشة ذاكرتي الممتلئة بمشاهد الاغراء ..

●●●

زاد اشتياقي للإمامة في الصلاة إلى أن تضاءل الأمل كما اعتدت طوال حياتي ، الخيبات تلاحقني في كل مكان ، كأني منذور للحزن دائما ، إلا من بصيص نور يبدد الظلام المخيم فوق حياتي وتتحقق أمنية صغيرة استعيد بها الثقة ..؟!

قصدت المسجد الثاني المجاور للمنزل لإقامة صلواتي دون البحث عن ميزة ، لكن انفراجة حدثت في نهاية شهر رمضان ١٤٢٥هـ مع بداية أول أيام عيد الفطر استلمت عملي كإمام لم يكن صاحب المسجد – هذا الشيخ الوقور – رغم إني لا أحفظ شيئا اتلوه في الصلاة ، لكنه كان يراني من الحين إلي الحين

بزي خاص ـ جلباب وسروال وطقية بيضاء ولحية أطلقتها اهمالاً لنفسي المتعبة على جراء حالة اليأس التي انتابتني وجعلتني أقوم بافعال غير متزنة جعلت الجميع يعتقد أنني أصابني مس من الجن أو ربما حدث لي مكروه وفقدت عقلي وأستوقفت الشباب في الشارع أدعوهم إلي الأعمال الصالحة ، لم أرفض عرض الشيخ فأنا بدون وظيفة وساظل كذلك إذ لم أقبل واحتاج إلى مصدر رزق يُعينني على مواجهة صعوبات الحياة ، وأعيد توازني المختل الذي لولا الترحال ما استطعت أن أسد الخلل والتوتر الدائم من مجهول ينتظرني ، المدة التي قضيت فيها رحلات أمتدت من عام ١٩٩٥ إلي عام ٢٠٠٥م كنت مواظباً على عمل من الأعمال الإنفرادية وهو الجزء اليومي لقراءة القرآن الكريم ، مما جعلني أحبها وابدأ فى القراءة اليومية لمدة سنة ، حيث قرأت في السنة الواحدة الجزء الواحد اثني عشرة مرة ، فضلاً عن الاستمتاع بتلاوتها في الصلوات فلماذا لا أحفظها عن ظهر قلب ، توجست خيفة .. من المؤكد أن أمري سوف ينكشف إذا كررت ما في صلاة الفجر في صلاة المغرب والعشاء الأمر الذي اضطرني للجلوس بعد الصلوات بحجة مراجعة الاجزاء والحفظ وانتهيت باثني عشر جزءا محفوظا في مدة ثلاث أشهر وعشرة أيام هي مدة إقامتي في هذا المسجد ، ولم أتركه إلا محض صدفة .

في أحد المساجد قابلت صديقي حسانين مسعود أبو فرح الذي تخرج في كلية الآداب ويعمل عامل خدمات معاونة في أحد المساجد أنه اضطر للتنازل عن مؤهله لإيجاد فرصة عمل بعد أن ضاقت به الحياة قبل وظيفة الفراش وقمت بدفع عشرة آلاف جنيه رشوة للوسيط في وزراه الأوقاف ..!

كنت جالساً وزوجتي منتظراً صلاة المغرب ذات يوم ، وبعفوية اعطتني كتاب منون بـ (مخالفات الصلاة) وباعتبارها عملي الجديد ولابد من معرفة كافة ما يتعلق بها .. شرعت في قراءة الكتيب ، وما إن قرأت هذه الفقرة ، قفزت إلي ذهني صورتي في المسجد بعد كل صلاة وأنا أصافح كل مصلٍ خلفي وهم يصافحونني، لم أكن أعلم أن هذه المصافحة ليس لها مكان بعد انتهاء الصلاة مباشرة ، وما اوقعني في الحرج أن صاحب المسجد أملي عليّ شرطاً مفاده عدم التحدث في المسجد ، يقصد ألا ألقي درساً أو أقول كلمة هذا من ناحية ومن ناحية أخري ما أفعله من فعل المصافحة ليس منصوصا عليه في الكتب المتخصصة ، وقد تعلمت أثناء الرحلات التي كنت أقوم بها عدم التحدث في أربعة أشياء (السياسة – الخلافات الفقهية – الأفكار الأخري – أمراض الأمة) ووضعي الحالي ينطبق تحت بند الاختلافات الفقهية ، فربما تعددت أراء الفقهاء حيال موضوع واحد ، عندما

أترك هذه الاختلافات أقول .. " آسف أنا لست بعالم ولا فقيه ، وارجو الاتصال بلجنة الفتوي المسئولة عن ذلك .. " منقذاً نفسي من التورط في أصدار فتوي ومن ثم لا أقع في الحرج ، ولابد من سؤال الشيخ الأزهري كمتخصص في المسألة الفقهية .

عنفتُ اطلاعي على كتب تفسير ابن كثير والقرطبي والفقهاء الأربعة وصفوة التفاسير و اشتد الصراع بين الحنابلة والشافعية في العبادات ، لا أستطيع إلقاء المعلومة ولا أستطيع مقاومة نفسي فسكت حتي طال سكوتي عندما أبرزت الكتيب لم أقابل إلا بالرفض والانتهاء من هذه العادة ، هذا الرفض جاء من قراءة ما ورد في مخالقات الصلاة ، يبدو أن المعلومة طفحت بداخلي ، لم أستطع التغاضي عن معرفة الحق والسكوت عليه ، طفحت المعلومة في فجوة رأسي المنهكة بالاختلافات الصغيرة ، إلي إن خرجت من منزلي " ذات صباح وحيدا " قاصدا المسجد .. فتحت ودخلت ، واضعاً المفاتيح فوق الحامل الطويل للمصحف وأغلقت الباب ولم أنظر خلفي .

افتح فمك جيداً إلي إن يؤثر ذلك علي عينيك فلا تري شيئا، ثم اطلق من المخرج الهوائي صوتا عاليا جدا متقطع وأنوي الضحك هذا ما حدث ، لم أعد أعلم بنظراتهم إلي ، أنظر إلي أغنياء الحي ولا أخاف إن أرفع وجوههم في نظري ويعلو صوت

ضحكي ، يعلو ، وأدخل المنزل وأجلس في الوسط – وسط سرير الزوجية ، ولا أعلم لماذا تدخل زوجتي " وجدان " باكية ، وأنا لا استطيع التوقف عن أصدار الضحك بصوت عالٍ ، تبكي بحرقة والضحك ينساب من فمي بهستيرية .

لم أعد أري الناس في الشارع إلا واضحك في وجوههم بصوت عالٍ ، لم اشعر قط بالحياء أمام الجيران والأغنياء المواظبين علي الصلاة دوما ، كنت مدفوعا إلي الضحك وكأن ذاتي سوف تندثر من الوجود إذا توقفت عن الضحك ، توقفت ، وها أنذا جالس تحت شجرة في صباحٍ أو مساءٍ جديدٍ أنظر في الساعة تلو الساعة الساعة وصمتي يزداد اتساعا بالوحدة والعزلة ، نعم أري صمتي في جلستي علي البحر ولا أسمع سوي نفسي ، نعم لم أعد استمع سوي أصواتهم من خلف الحبل المدلي ، ربما يهتز مرة وأسكت فقد تكلمت كثيراً أو أتكلم فقد سكت كثيراً فالصمت مفتاح الفرج لولاه ما أستطعت كتابة ما رأيت وكتابة قليل مما سمعت .. لكن هل أفعلها وألقي بنفسي في قاع النهر ..؟! إذا رحلت سوف يرتاح مني الجميع ، فما حدث لا يطاق ، ولا أدري لماذا اعتقلت وضاع مستقبلي بسبب تربيتي للحيتي عندما استوقفني أمين شرطة ذات مساء في دورية ليل ، كنت قد خرجت لشراء دواء لوالدتي التي تعاني من فشلٍ كلوي من صيدلية في خارج الحي .. استوقفني

بعدما أمر المخبرين بعنجهية واضعاً قدماً فوق قدم .. سمعتها ولم أعيره اهتماما ..وعبرت الطريق ..:

- هاتوا الولد ده بسرعة ..!

هجموا عليّ كضباعٍ جائعة ، قيدوني ، قاومت بالسقوط علي الأرض لكنهم جرجروني وانهالوا ركلاً بأقدامهم ورموني تحت قدميه ، شخط في قائلا ..:

- مربي ذقنك ليه يا روح أمك ، وحياة امك لانتفهالك ..!

أمرهم بالقائي في البوكس ..:

أرموا ابن الوسخة ده هناك لما نشوف له صرفه ..!

قلت له ..:

ليس من حقك أنا طالب في كلية الحقوف وأعرف القانون كويس ..!!

- قانون إيه يا روح أمك أحنا القانون .. أنتو ا حتشتغلوا لنا في الأزرق ..

ألقوا بي في عربة البوكس .. أي تهمة تلك التي يلقونني بها لأنني أطلقت لحيتي صرت مجرماً .. وهل هناك قانون يعاقب على تربية اللحية .. مؤكد أن هناك تعديلات جديدة طرأت على

قانون العقوبات ، عموما البلد بلدهم يفعلون ما يفعلون وعلينا الطاعة والرضوخ للأوامر شئنا أم ابينا ، ولا جدال وإلا ستلاقي ما لقيته جراء أن شكلك لا يعجب أمين شرطة ... ..

تُري أين ذهب الديك وتركني فريسة لهذا الشخص غير الأمين..؟ أقسمت إن رأينه لأذبحنه أو لأذيقنه عذابا أليماً ..؟ انتابتني حالة من اللاوعي وقشعريرة واغماءة لم افق منها إلا وأنا بين جدران غرفة الحجز في قسم الزاوية الحمراء ، لفقوا لي قضية الانتماء إلي جماعات إرهابية وتنظيم يهدف إلي قلب نظام الحكم، قضيت علي أثرها حكما بالسجن عشر سنوات مع الشغل والنفاذ في السجن الحربي .. استرجعت من ذاكرتي ما رواه والدي عن (حمزة البسيوني) ضابط السجن الحربي الذى كان يقول لهم أثناء فترة اعتقاله وتعذيبه لهم ..

- ربنا لو نزل هحطه فى سجن إنفرادى وهكلبشه بالحديد

عندما كان يسمع أحدنا يقول ..:

- يا رب ..

يقول ساخراً .. :

- هات ربك وأنا أحطه في الحديد .. وكانت نهايته بالحديد في حادثة مروعة كما رواها الشهود ..أن حمزة البسيوني

سائق السيارة القتيل كان يقود سيارته بسرعة غريبة .. وأمامه سيارة نقل مُحملة بأسياخ الحديد التي تتدلى من مؤخرتها ودون أن ينتبه اندفع بسرعته حتى اصطدم بالسيارة النقل .. فاخترقت أسياخ الحديد رقبة ومزقتها.. وقسمت جانبه الأيمن حتى انفصل كتفه عن باقي جسده !! وما يروى عن حمزة البسيوني مدير السجن الحربي الكثير ترتعد فرائص مصر كلها بمجرد ذكر اسمه .. كانوا يلقبونه بملك التعذيب في السجن الحربي ، قال عن نفسه ..:

- أنا إله السجن الحربي.. .

و قال أيضا متفاخراً بقوته وجبروته ..:

- أنا القانون ، و الدولة ، و القاضي ، و الجلاد ..أنا الذي يحيي ويميت..

كأنه النمرود مع سيدنا إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، وسلط الله عليه عذابه ، واستأنف أبي حديثة بمرارة بدت واضحة من نبرات صوته ذات يوم قال لنا أثناء تعذيبنا .. :

- أنا لا أستلمكم بإيصال يا كلاب .. و لا يعرف أحد عدد المساجين الموجودين عندي .. و أستطيع أن أقتل منكم كل يوم مائة كلب ولا يحاسبني أحد ..!

عندما سمع أحد المساجين البائسين المنكوبين يصرخ من وطأة التعذيب ...:

- أنت فين يا رب ..؟!

فيقول له ساخراً ...:

- ربنا في الزنزانة اللي جنبك

ارتعدت فرائصي وهاجت موجات كهربائية عطلت مخي عن التفكير ، رحلوني إلي سجن أبو زعبل في عربة الترحيلات ، تري هل سأجد حمزة البسيوني هناك من جديد ..؟ وماذا فعلت لمجرد أن تركت لحيتي فقراً أنال هذا الجزاء الظالم ..؟! ما اشد مرارة الظلم في وطن سرقه هؤلاء الطغاة وأعوانهم ..استرقت السمع وتعالت صيحات الثوار من بعيد مع صوت آذن الديك الأخضر الواقف فوق سور السجن قال ...:

- أُحط بما لم تُحط به خُبرا ، وجئتك بنبأ عظيم ، رأيت شبابا يقفون و الميدان يزأر .. أرفع راسك فوق أنت مصري ..

تعالت الصيحات في السماء ، ودوت صفارات الانذار .. ساد الهرج والمرج ...

●●●

أبو الرعاش

ها هي تتحرك في الكيس القماشي بعنف تدفع فخدي دفعاً فتشد انتباهي وانتشي للحظة ويختفي كل هذا مع بداية جديدة تبدأ برمي السنارة ومراقبة الغماز الطافي فوق سطح الماء ..

مشوار طال لمدة ست ساعات منذ تنفس الصباح لأول نسماته وبين قيام وجلوس ، توقف عند هذا الجانب أو ذاك بين ظلال انجذاب إلي جمال أو خير ، أصل عند صلاة الجمعة مرورا بالمسجد إلي هذه الغابة الصغيرة ، تنخفض عن مستوي الأسفلت بخمسة أو ستة أمتار وأشجار لها من العمر ما يؤكد رسوخها وكوخين أولهما مبني بالخشب يتوسط المكان والثاني مبني بالطوب علي هيئة غرفتين متلاصقتين ، ربما تجد كلاباً ضالة أو قططا ، وسحالي كثيرة ذات ألوان ونظرات وايماءات برقابها المدببة يقشعر منها البدن وتبث في نفسك الروع أوراق الشجر المتساقطة ترتفع عن مستوي الأرض بربع المتر فتظن أن زواحف رابضة تحتها فتهيجها دون أن تشعر – حتي إذا لامس نور العين هدوء البحر الصغير أدركت أنك في أمان – استأذنت بإشارة من يدي اهل الغابة لأبدأ ، وبايماءة من رؤوسهم وكلمة اتفضل .. بدأت اختار مكاني علي السلم الحجري وضعت ثلاجتي الصغيرة وبدات ، مرت دقائق كنت استمع الي خطبة الجمعة من المساجد

المجاورة للغابة وفجأة ، اهتز الخيط المشدود اهتزازاً جعل أول قصبة من قصبات العود تنجذب في اتجاه انجذاب الخيط لحظة مرت وأخري والاهتزاز في العود يزداد والغمز يشتد ، بدأت ماكينة لف الخيط في الدوران بسرعة ، كانت تزن نفسي اتزاناً لحظوياً عالياً استمر معي حتي احرزت نصراً وأمسكت بها .

قد يؤلم هذا المشهد إن تخرج السن النحاس الصغير» السفاية « بشدة لتستخدمة مرة أخري ، بدلاً من الاستغناء عنه تماماً بأستخدام شفرة حادة و تجهيز سن آخر جديد يؤلم من يراه .

المشهد منذ استنشقت نسمة الصبح الأول ، لم يكتمل إلا في هذه اللحظة ، لم اترفق ، نزعت الخيط بقوة وسال الدم من فم السمكة ، ها هي ذي تتحرك في داخل كيس الجوت القماش .

مددت يدي لانتشال ورقة ملفوفة قد ارقها العرق ، والفتح والغلق لاكسو السن النحاسي الصغير طعماً جديداً ثم أرمي السنارة في الماء .

أصحاب المكان قد يروا أن لهم الحق فيما اخبئ هم يعلمون ماذا اخبئ لكني قد استأذنتهم من قبل والحصول علي محصول وفير في مرة واحدة منذ الصباح مبرراً لاقنع نفسي واضع أدواتي وأحمل ثلاجتي الصغيرة وأمشي .

سلمت علي شابٍ صغير ما زال يراقب وينتظر لحظة الخطف وشد الخيط بقوة لتمكين سن السنارة من فم السمكة ، نظرت عن يساري أطفالا ثلاثة وراءهم غرفة مظلمة ، بدأت في التنفس من جديد عندما انشق الإسفلت أمام عيناي بجمع غفير من الناس .

غادرت الغابة الصغيرة ،كان في جعبتي الشدة والسنارة ونظرات الخارجين من صلاة الجمعة تؤنبني على ترك الصلاة .

●●●

كثيرا ما ألجأ إلي الصيد لقتل الوقت أو اشباع هوايتي ومتعة خروج الأسماك من الماء تسر القلب وأشعر بانتصارات تبدد ما تتركه الخيبات والنكسات التي تلاحفني، الهروب إلي الصيد وسيلة لتحقيق النجاح وانتصارات متتالية مع رمي السنارة وخروجها محملة بقرموط أو سمكة مبروكة أو فرخ عبيد أو توباره في جولات متباعده ، مئات الكيلو مترات قطعتها بحثا عن دور .. سألني وما كنت أدرك مغزي السؤال .. سألني مستخبراً ..:

- انت ياعم عجبك مشتلنا دايماً ألاقيك قاعد فيه ..؟!

هززت رأسي علي استحياء وقلت بصوت خفيض ..:

- آه عجبني وبتفاءل بيه .

ربما لم يعر هذا الالتفات أي انتباه وراح يعيد ما قال ..:

- كل ما اعدي بالعربية من الناحية الثانية أشوفك قاعد بتصطاد هو المشتل بتاعنا عجبك ولا إيه .. ؟!

اكمل مستأنفاً ..:

- أنت بتشتغل إيه يا شيخ ..؟
- إمام مسجد .
- طيب خليك قاعد بس متخليش حد يقعد معاك .

تركني وطفليه أقلب الكلمات القليلة ، تمنيت أن أقول له إن المشتل يجب أن يحاط بسلك شائك ، لأنه سوف يتحول إلي مأوي للشباب الفاشل يتعاطى فيه المخدرات ، كنت أتمني أن أوضح له ما دار بعقلي ، لكن لم أكن ساعتئذ أفكر إلا في كيفية المرور بسلام لأكمل رحلتي دون عناء ، وشيءٍ ما أنساني وانشغلت في تدبير الطريقة المناسبة للعبور إلي هناك ، اخترت هذا المكان وساورني إحساس بالقلق في بادئ الأمر، ولم اشأ قفز السور الحديدي القريب من الأرض ، نزلت بضع درجات ماشياً بين الأشجار حتي وصلت إلي الشاطئ ، ارتبت من المكان ، لقد كان مشتلاً به أجود أنواع الشتلات وكان أبي – رحمه الله – يبتاع منه شتلات الورد والزهور وها هو الآن أصبح مهجوراً ، بقايا قصاري لشتلات ملقاة في كل مكان والأشجار الصغيرة ذبلت وكوخ من الخشب مغلق بقفل صدئ .وإذا وقفت قبالة البحر تري الضفة المقابلة تكشف المشتل المهجور تماماً .

لم يعكر صفو المشتل إلا عدم وجود أسماك كبيرة حتي الأسماك – الشره – الصغيرة كانت قليلة وكأن الخوف سكن

الجسر ، يبدو أن هناك شيئا ما يسكن الحشائش جعل الحياة ساكنة سكونا مفزعا ، وبالفعل ظهر ثعبان كبير عائما علي سطح الماء ، يظهر من حينٍ إلي آخر تتلوي نفسي معه ، كأنه يتلوي بداخلي إلي أن يدخل شقا يعرفه تماماً ، يتربص بسربٍ من الحمام الأبيض ، يحلق هادئا مطمئنا يمد منقاره ليشرب من ماء البحر ، يرفرف فرحاً ، تنعكس صورته مع ضوء الشمس فوق مرآة الماء الرقراقة ، والواقف يتربص بين العشب بالفريسة .

في ظهيرة يوم أخر دخلت إلي المشتل متعجلا ، وبحرص شديد، ربما أجد مبتغاي في بضع سماكات من مشط الشبار المعتبر يجذب انتباهي للحظات نادرة انتشى بها غائبا عن الوجود بعيدا عن النحس الذي يلازمنى ..

- الخرطوم اتسرق .

قال هذا ووقف بجانبي حيث كنت جالسا علي حجر قديم، لم ارد عليه فسألته لأغير مجري الحديث عن السرقة فأنا لم أسرق ولابد من شرح الموقف مبرارا بايجاد اعذار وتكرار ملل ولعنات أصب بها غضبي على السارق رغبة في الدفاع عن شرفي، لم اسرق شيئا ولكن متهما بتواجدي المستمر هنا في المشتل المهجور .

بدت كلماته رصاصات موجهه إلي وسألني مرتابا ..:

- هو حضرتك بتشتغل إيه.. ؟!

خرجت الإجابة مندفعة كأنها تتوقع السؤال منذ زمن بعيد ..:

- بشتغل في المحكمة . والدي كان محامياً تخرج في سنة ١٩٥٥ من جامعة فؤاد الأول ، حكيت له ظروفي وقصتي قلت في أسي ..:

- أرجوك ماتزعلش علي الخرطوم اللي ضاع .

قال وهو يلوح من بعيد ..:

- هزعل علي إيه ..؟

المشتل قريب من البحر لكنه بعيد عن السمك قريب من البر بعيد عن الناس .. تساءل أحد الصيادين يبدو أنه جديد في الكار ..:

- أبو رعاش دا يطلع إيه ..؟

كنا علي شاطئ البحر وتساءل وكنت مثله لا أعرف من أبو رعاش هذا ، لكنني اصطدمت به بنفسي ، عرفته عن قرب وظللت اتحاشاه ، أخشي أكله لسنارتي خوفا من صاعقته – لكنني سهرت يوما علي اقصي يمين الكوبرى ورميت رميتي ، انتظرت حتي إذا كان الغماز يهتز فوق سطح الماء، أشد الخيط فيتقافز علي أرض الكوبري الصيد الثمين وما من صريخ بن يومين ، مددت يدي في سرعة لاخرج منه السن واستبقيه في الشنطة ، فإذا بيدي تصعق كما لو أن سلكا كهربائيا مكشوفا صعقني تراجعت مبهوتا، اقتربت منه ثانية – أفكر كيف أضعه في الشنطة فأمسكت طرف الخيط،

حملته ووضعته كما هو وانصرفت يومها ومعي أبو رعاش الذي عرفته لأول مرة منذ مارست هواية الصيد من سنوات طوال .. وأحمد الله أن هذه السمكة لم تكن من الوزن الثقيل فمنها ما يصل إلي ثلاثة كجم كما يقول أحد الصيدين المهرة وإلا كانت لدغتها الكهربائية أودت بحياتي في الحال .

كنا لا نزال علي البحر نمشي ، نتطلع الأفق البعيد والشمس تغطس في ماء البحر مع الأسماك النائمة في القاع ، وكأن النهار يبدأ في الجانب الآخر من النهر ، سكون الليل يحتوي المدينة، والأضواء من كشافات أعمدة الإنارة تغرق الظلمة في النور ، والكورنيش مثقل بأوجاع الناس التي تبعثرت فوق الرصيف ، مرت هذه الواقعة في خيالي سريعا ، وأردفت له ..:

- إنه يحمل شحنة كهربائية ومن الأفضل عدم الإمساك به علي الإطلاق ويجب أن تحمله من الخيط ، إذا صادفك الحظ به.

لم أنس أن أخبره إنه لا يباع في الأسواق ولا أعرف لماذا ؟ إن لونه يميل إلي الصفرة مع تنقيط جسمه بنقاط سوداء ، لكن طعمه مختلف عن أي نوع يأكله من الأسماك ، وله طريقة خاصة في الطبخ فلا يقلي ولا يشوي ، كثعبان السمك ، ولكن إما إن يدفن في الأرز فتسيل دهونه الكثيرة ، أو إن يطبخ في صينية مع البطاطس ، كان حظي بعد ذلك من هذا النوع رزقني الله باثنين من الوزن الثقيل .

الجفاف يصيب كل شئ ومن تلك الأشياء التي يصيبها الجفاف بحر مويس في السدة الشتوية ، صليت يومها العشاء وكنت متعجلاً ، عدت إلي منزلي فأخذت الشنطة وأدوات الصيد، وجلست مبكراً على الشاطئ كنت لا أعرف لماذا أهرب ، أهرب من البيت أم من البحر ذاته أم من حياتي المليئة بالعثرات وأحلام تتبدد ، وأعمار شاخت حزنا ، ضاق السعي بحثا عن فرصة عمل وصرت عاطلا ، ربما النقود القليلة تغنيني عن سد حاجاتي بشراء علبة سجائر انفث دخانها في وجه الدنيا التي أوحلت دائما ، ولم اتذوق طعم حلاوتها ، بعد دقائق وطول صبر وسكوت تام احرزتها كانت صغيرة الحجم ، انتقلت إلي مكان آخر رميت الخيط علي بعد كبير في وسط العمق، لم انتظر سوي عشر دقائق عندما وجدت العود يهتز ، غابة الصيد ، البوصة ، تنجذب وتهتز بجانبي ، فأمسكت بالخيط وبدأت في الشد وإذ بي أرى لأول مرة ثعبان الماء العذب طويل يتلوي بعنف ، أخرجته بعد معاناة قطر جسمه الملفلوف خمسة سنتيمترات ؛ تجمع الشباب حولي .. قال أحدهم..:

- أنزل أساعدك .. ؟

لم أرد عليه وظللت أدعو عسي أن تكون ساعة إجابة ،كان قوياً يتحرك بعنف كاد يقطع خيط السنارة ..لا استطيع الإمساك به خشية العض إلي أن أحضرت الكيس القماش الكبير الذي

كان لوالدي – رحمه الله – أدخلته بصعوبة بالغة منتشيا بالنصر الذي حققته ، لم أصدق ، فالخيبات المتلاحقة جعلتني لا أثق في نفسي مرت ثلاثة أيام علي تلك الواقعة التي خرجت منها منتصراً كان الثعبان الأصغر في نفس المكان قد جذب الخيط الطويل المدلي في الماء ناحية الحشائش والغاب وسط البركة ، جذب بشدة كهربتني ، جعلتني أتأهب لإخراجه ؛ امسكت الخيط من آخره وتمكنت من مسك زمامه فاتحاً بيدي اليسري الكيس القماش بهدوء تام ادخلته فيه واحتفظت بالسر أيضا .

– سمعت عن أنواع كثيرة كلها صغيرة الحجم ، الكبير منها يأكل الصغير و شاهدت بنفسي عندما فتحت بطن الثعبان فوجدت ثعابين صغيرة مبلوعة مازالت لم تهضم بعد .

اكتشفت عن طريق الصدفة أن أحد الأصدقاء على صفحة الديك الأخضر يهوى الصيد وقام بتسجيل وقائع إخراج فرخ عبيد من ترعة الحلوة ونشر الفيديو على الصفحة الرئيسية ، قمة المتعة وأنت ترى السمكة خارجة من المياه ، ينشرح صدرك بالصيد والحصول على ثمرة الصبر ، انسحقت ذاتي في ذاتي مقاوماً الموت الذي لا يسلب مني سوى الرد علي استفزاز الآخرين غير المقصود لي ؛ سحقتني الحياة في مشاكلها ولم تعطني الدنيا بقدر ما أخذت مني ، ووقعت في متاهة افقدتني الوعى ، ظهرت نوبات

صرع ، تتملكني كما شخصها أحد الأطباء العباقرة ، يبدو أنني اتقنت الدور فعلاً ، وتلبستني حالة من المس والجنون ، فأهملت شكلي وطال شعري الكثيف والتحمت لحيتي بالسوالف ، ولا أدري لماذا كلما رآني أحد من المارة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، هل الشيطان تلبسني إلي هذا الحد ، فصرت أحد اتباعه ..؟!

- يا ألطاف الله – انحشرت في الكون الكبير ، والزحام يصرخ في المارة الذين فروا مني كلما ألتقيتهم في الشوارع والميادين التي امتلأت بقطعان من البشر بزيهم العربي والافرنجي ، اشتعلت الطرابيش والعمائم فوق الرؤوس ، نادي الشيخ في الجموع ..:

- أيها الناس أفيقوا التتار قادمون ..!!

ونادى الآخر من فوق قاعدة تمثال عمر مكرم ..::

- الرب يباركم فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، بان هلال النصر محتضنا صليب الحرية .

صاح الديك الأخضر فوق برج الجزيرة وأذن منتشياً بالنصر، تطلعت العيون ناحيته في دهشة .. علت الأصوات ..:

- من أين جاء هذا الديك يا ...؟!

لم يبق من الليلة الفائتة على الترابيزة سوى بقايا من أوراق البفرا وطبق به بقايا تبغ سجائر وزجاجات فارغة وبقايا من مهروس البانجو أتي به شهاب قائلاً..:

- بيقولوا بيعمل مزاج كويس ..

عندما أخذت نفساً من السيجارة الملفوفة التي أعطاها لي شعرتُ بخدرٍ بنج حواسي ، غامت الدنيا مع جرعة من البيرا وتهت مغيباً ، فاقداً للوعى تماماً ..

امتزجت ألوان الفرشاة بالدم المنساب فوق الأسفلت ، وغازات الدخان تعتصر دموع العيون الجاحظة ورحت أخط مع الشباب جدارية حوطت جنبات الميدان بألوانها الوردية الزاهية وصورا للشهداء وكتبت بدمي – الورد اللي فتح في جناين مصر- تجمع حولي من نفروا مني وحملوني علي الأعناق وهتفوا جميعا .. :

- الشعب يريد أسقاط النظام ..!

- يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان لا تخجلوا .. ولترفعوا عيونكم إليَّ لربمّا إذا التقت عيونكم بالموت في عيني يبتسم الفناء داخلي لأنكم رفعتم رأسكم مرة واحدة، وخلف كلَّ ثائر يموتُ أحزان بلا جدوي ... ..

بدت صورة الروائي والفنان السوداني محمد بهنس متجمداً من البرد وإصابته بكسور في الرقبة واليدين على أحد أرصفة القاهرة ؛ بكيت كما لم أبكِ من قبل واعتلت الأنات فوق ضجيج السيارات المسرعة في الشارع المحاذى للكورنيش .

انهمرت دموعي لم تغادرني منذ أول رصاصة أطلقها المجرم على الناس ، تساقط الأبرياء من الناس ، تخيلت نهايتي كنهايتهم تماماً ...غريبٌ بين أهلي وإخواني ، لم أعلم إلا عند محاولتي

الانضمام إلي الجماعة الواقفة في الزحام الشديد ، توضأت من نهر النيل وقدموني إماما للصلاة .. دفعوني كرها نحو الإمامة .. همس أحدهم لي منفرداً ..:

- أنت وقعت بين طلب الآخرة وحب الدنيا ...

ثم سألني مندهشاً ..:

- الكتابة حلال ولا حرام ..؟!

وقال آخر عندما عرضت عليه بعض لوحاتي..:

- ماتحولش كلهم لحي ، وميولك ظاهرة جداً .

لكنهم شجعوا علي حضوري بينهم ، ساعتئذ شعرت بهذه الوصمة على وجهي ولحية كثيفة غيرت من مظهر ي الخارجي الذي بدا للجميع غير مقبول ينفر منه الناس ، عدت كما حلا لي دون أمل ؛ و ما زال بيني وبين نفسي شعرة مهتزة ، ممتزجة مع الوحدة والوحشة مطلاً على العالم من نافذتي الديك الأخضر وسؤال ممزوج بالحيرة ..إذا الشعب يوماً أراد الحياة ..هل حقاً للشعب إرادة يمكن أن يستجيب لها القدر ..؟!

اعتلت الهتافات مع نسمات الشتاء المنعشة وزخات المطر تتساقط فوق الأسفلت وأنوار كشافت أعمدة الكهرباء غارقة في الوحل ، بينما يوسف ولدي الوحيد محمولاً في أحضان الجندي الواقف فوق المدرعة على بوابة الميدان مبتسماً ، متطلعاً للسماء وأسراب الحمام تحلق في الأفق البعيد .. ..!!!

الفهرس	الصفحة
لوحة خضراء:.....	٧
نشيد الظلام:.....	٢٣
نفحة من التفكير:.....	٢٧
من ذاكرة الصمت:.....	٣٣
فيض من نور:.....	٣٧
لحظات مسروقة:.....	٤٣
تغريبة المسافر:.....	٤٩
رحلة أقدام:.....	٥٧
الخدمة والاختلاط:.....	٦٣
خارج البلاد:.....	٦٥
مجالسة النور:.....	٦٩
أول الجـــرح دمعة:.....	٧٣
رؤى الرؤيا:.....	٧٧
ترنيمة العائد:.....	٨٣
تحولات لا مرئية:.....	٨٩
الكمائن الحديثة:.....	٩٣
الخط العربي:.....	٩٩
يا مسافر وحدك:.....	١٣١
أبو الرعاش:.....	١٤٣

obeikan.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikan.com